التعليم في مكة والمدينة

آخر العهد العثماني

تأليف

الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ

الأستاذ المساعد في كلية الآداب بجامعة الرياض

الطبعة الاولى

١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

دار العلوم
الرياض

مكتبة النهضة
الرياض

التعليم في مكة والمدينة

آخر العهد العثماني

تأليف

الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ

الأستاذ المساعد في كلية الآداب بجامعة الرياض

الطبعة الاولى

١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

دار العلوم
الرياض

مكتبة النهضة
الرياض

الرياض
١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م

التعليم في مكة والمدينـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يشعر المعنيون بدراسات الجزيرة العربية أن ما سجل عن حياتها العلمية والفكرية في الثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري مازال قليلا مفرّقاً ، وأن كثيراً مما كتب في هذا المجال يتسم بالايجاز والتعميم . ولعل أهم أسباب ذلك عدم توفر المواد الأولية لمثل هذه الموضوعات ، فرغم قرب العهد بأيام الحكم العثماني الذي انتهى في معظم أجزاء الحجاز عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م) والذي دام في المدينة المنورة حتى سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٩ م) إلا أن الباحث يجد كثيراً من المشقة في سبيل العثور على الحقائق المتصلة بتاريخ الثقافة في ولاية الحجاز .

ولقد حاولت في الصفحات التالية أن أقدم بعض الحقائق والمعلومات عن الحركة العلمية بمكة والمدينة وما حولهما من بلدان ولاية الحجاز في الفترة التي تبدأ بعام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) وتنتهي بسنة ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م) . وقد حرصت على أن أدعم هذه الدراسة بالنصوص التعليمية ، وأن أستشهد بأقوال من عاصروا التعليم في هذه الحقبة ، وذلك لأن معظم المصادر التي أشارت إلى هذا الموضوع مازالت قليلة متناثرة ، كما أن كثيراً مما كتب عن هذا الجانب قد ورد في شكل ملاحظات موجزة ، أو ذكريات ومشاهدات عابرة . ويخيّل

إليّ كذلك أن معالجة موضوع كهذا في مثل هذه المرحلة الأولية تقتضي جمع أكبر قدر من المعلومات والحقائق والنصوص التعليمية .

ولست أزعم أني قد أرّخت للتعليم في الأماكن المقدسة خلال هذه الفترة ، إذ أن بعض المواد العلمية التي تتصل بهذا الموضوع مازالت حبيسة في المكتبات الخاصة وفي صدور المعمرين ممن عاصروا هذه الحقبة ، ولكن هذه الدراسة قد تلقي أضواء على الحياة العلمية في المدينتين المقدستين وفيما حولهما من بلدان ولاية الحجاز . وإني لأرجو أن يجد فيها المهتمون بتاريخ التعليم في هذه البلاد ما يمكن أن يضاف إلى مواد دراساتهم التعليمية . كما أرجو أن يسهم هذا الكتاب في التأريخ لبعض المراكز العلمية التي أُسست للدراسات الإسلامية والعربية في الأماكن المقدسة ، هذه المراكز التي وجد منها في هذه الحقبة كذلك عدد آخر في عدة أماكن من مدن المملكة . ولعل في تسجيل تاريخ هذه المراكز العلمية ما يوجد حلقة تصل حاضر هذا الجيل الجديد بماضيه ، وتخلق في نفسه الوئام بين ثقافته الانسانية المعاصرة وتراثه الاسلامي العربي .

وفي الختام أود أن أُسجل شكري وتقديري للمساعدات القيمة التي قدمها إليّ أثناء بحثي عن مصادر هذا الكتاب الأستاذان حسن مصطفى الجوادي ومحمد الهديان المشرفان على مكتبة الوثائق التربوية بوزارة المعارف في الرياض ، والأستاذان يحي ساعاتي وعبد العزيز المسفر المشرفان على قسم المخطوطات بمكتبة جامعة الرياض ، والشيخ عبد المجيد خطاب المفتش المالي بوزارة المالية سابقاً .

الرياض في ٨ /١٣٩٣/١ هـ
١٩٧٣/٢/١١ م

محمد عبد الرحمن الشامخ

الفصل الأول

التعليم في مكة المكرمة

الحـــرم المـكي

مواد الدراسة وطرق التدريس :

لقد كان من الطبيعي أن تصبح مكة المكرمة والمدينة المنورة أكثر أجزاء الجزيرة العربية احتفاء بالعلم واتصالا بالثقافة ، وذلك بفضل الحرمين الشريفين اللذين كانا منذ القرن الأول الهجري من أهم مراكز الدراسات الإسلامية والعربية . ولم يفقد الحرم المكي هذا المركز العلمي في آخر العهد العثماني بل ظل محتفظاً به . فقد قال المستشرق الهولندي C. Snouck Hurgronje « سنوك هرجرونجه » – الذي أقام في مكة وجدة سنة كاملة في عامي ١٨٨٤ و ١٨٨٥ م وزار مكة متنكراً فقضى فيها ستة أشهر كطالب من طلاب العلم – بأن المسجد الحرام كان حينئذ « مركزاً علمياً فريداً للعالم الإسلامي كله »(١) .

وكانت الحياة العلمية في الحرم المكي نشيطة آنذاك ، حيث كانت تبلغ حلقات التدريس فيه – كما قال أحمد السباعي – حوالي مائة وعشرين حلقة(٢) . ولم يكن يتولى التدريس في الحرم إلا من نجح في امتحان علني في التفسير والحديث والفقه والنحو ، تعقده له هيئة من علماء الحرم برئاسة شيخ العلماء أو نائبه(٣) . وما كان للدراسة في المسجد الحرام « منهج وإنما كان كل مدرس

---

(١) Mekka in the Latter Part of the 19 th Century, translated by J. H. Monahan, P. 222.

(٢) تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ .

(٣) انظر سنوك هرجرونجه ، كتابه السابق ، ص ١٧٤ – ١٧٥ . وعمر عبد الجبار ، دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام ، ص ١٦ .



خريطة مكة المكرمة كما رسمها محمد لبيب البتنوني عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩م) في كتاب الرحلة الحجازية

يلقي على طلابه المواد التي تضلع فيها(١) » . وقد أشار سنوك هرجرونجه – الذي قال بأن الحرم المكي عبارة عن « جامعة » – إلى أن المواد التي كانت تدرس حينئذ في حلقات الحرم هي : التفسير والحديث والتوحيد والفقه والنحو والصرف والبلاغة والأدب والمنطق والتصوف والحساب(٢) . ولم يكن أهل مكة وحدهم في نظرتهم إلى الحرم المكي كمركز علمي هام ، بل كان يشاركهم في ذلك كثير من طلاب البلاد الإسلامية الأخرى الذين كانوا يفدون إلى مكة المكرمة للدراسة فيه .

وقد جاء في التقويم الرسمي لولاية الحجاز « حجاز ولايتي سالنامه سي » الذي صدر في عام ١٣٠٣ هـ (١٨٨٦ م) أن في الحرم المكي مائة وسبعة من المدرسين(٣) . كما أن إبراهيم رفعت – الذي زار مكة في عام ١٣١٨ هـ (١٩٠١ م) قد أورد هذا العدد نفسه عندما تحدث عن مدرسي الحرم المكي(٤) ، ولكن يبدو أنه لم يسجل ما كان موجوداً في الحرم من مدرسين أثناء زيارته لمكة بل نقل ما ورد في هذه السالنامة التي أشار في موضع آخر من كتابه بأنها مصدر من مصادره(٥) . ومهما يكن فقد ذكر سنوك هرجرونجه بأن عدد مدرسي الحرم الذي أوردته سالنامة عام ١٣٠٣ هـ لا يخلو من مبالغة ، وقال بأن العدد الحقيقي لمدرسي الحرم يتراوح ما بين خمسين وستين أستاذاً(٦) .

---

(١) عمر عبد الجبار ، كتابه السابق ، ص ١٦ .

(٢) كتابه السابق ، ص ١٩٢ و ٢٠٠ .

(٣) انظر ص ٧١ – ٧٤ . للاطلاع على أسماء هؤلاء المدرسين انظر ما سيأتي من حديث عن « نفقات التعليم ومرتبات المدرسين » .

(٤) مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٦٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٨٢ .

(٦) كتابه السابق ، ص ١٨٣ .

ويظهر أن الحياة العلمية في الحرم المكي قبيل الحرب العالمية الأولى قد ظلت مشابهة لما كانت عليه في أواخر القرن الماضي ، فقد تحدث الأستاذ أحمد إبراهيم الغزاوي عن ذكرياته الدراسية في الحرم حينئذ فقال :

« وقد أدركنا الحلقات في المسجد الحرام ـ كما كانت في المدينة المنورة بالمسجد النبوي الشريف ـ تغص بالطلاب الكبار والصغار ليلا ونهاراً وفي جميع الأوقات حتى منتصف الليل وفي تباكير الصباح وبعد كل فرض يؤدى . وكانت تدرس فيها العلوم الشرعية واللغوية والنحوية وحتى الفلكية ، ولا أبالغ إن قلت ان عددها أكثر من مائة بين الأروقة و « الحصاوي » وفي المدارس المجاورة والخلاوى ، وكانت الدوافع إلى ذلك ترتفع إلى طلب الأجر من الله العلي القدير ، وتتوسط إلى الجمع بين الحسنتين في الدنيا والآخرة ، وقد يندرج فيها الارتزاق لمن ليس له سواها شيء من الارتفاق . وقد كان هذا الطراز من الدرس والتدريس والطالب والمعلم حريصاً كل الحرص على أن يمثل الطهارة والنظافة والأناقة والفصاحة والكياسة والدعابة والفكاهة ، ويجمع بين الأدبين النفسي واللفظي وحسن أوصافه الهدوء والطمأنينة والرقة والظرف والطلاقة والخلق الكريم مع التسامح والتناهج والتعاون والتصادق ... ثم ماذا ؟ ربما يود القارئ أن أضيف له كيف كانت حلقات الدروس في المسجد ، فأقول : إنها تتألف من العشرين إلى أكثر من المائة ثم إلى المائتين متصلة ويتوسطها المدرس فوق سجادته وأمامه المقرئ الذي يكون عليه أن يبدأ بالقرآن ، ويتولى هو الشرح والتفصيل ، ويستمد ذلك من ذاكرته أو مراجعاته قبل شهود الحلقة ، وأمام كل طالب محفظته الجلدية وقد ضمت الكراريس موضوع الدراسة ، وتحته سجادته . وتلقاء وجهه بعد الغروب « اللاله » وهي أداة ضوء ضئيل بالشمع الأبيض ، ولا تزال عندي اللالة والمحفظة كأثر ثمين أحافظ عليه قبل خمسين سنة مضت »(١) .

---

(١) « أيام الاصرافة والاقلابة » ، جريدة قريش ، عدد ٢٠٥ (١٣٨٣/٧/١٠ هـ – ١٩٦٣/١١/٢٧ م) .



الحرم المكي كما صوره محمد باشا صادق أمين الصرة في المحمل المصري سنة ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠ م) . وقد ذكر صادق بأن هذه الصورة وصور الحرمين الشريفين الأخرى التي أوردها في كتابه « دليل الحج » هي أول صور فوتوغرافية تؤخذ للحرمين الشريفين

ويشبه هذه الصورة التي رسمها الأستاذ الغزاوي ما تحدث به المرحوم عمر عبد الجبار عن الدراسة في الحرم المكي في الفترة التي شهدها إبان الحرب العالمية الأولى حيث قال بأن الحرمين المكي والمدني كانا « منهلين لطلاب العلم يقصدونهما من جميع البلاد فتعقد فيهما حلقات في جميع العلوم ، وكان الإقبال عليهما عظيماً من جميع طبقات الشعب . وقد أدركت أواخر هذا العهد ، وكانت حصوات المسجدين مكتظة بحلقات التدريس وانكباب الطلاب شيباً وشباناً على الدرس والمطالعة والاستعانة بمصابيح الشمع (اللالات) حيث لا توجد كهرباء ولا أضواء غير قناديل الزيت المسرجة حول المطاف والأروقة »(١) .

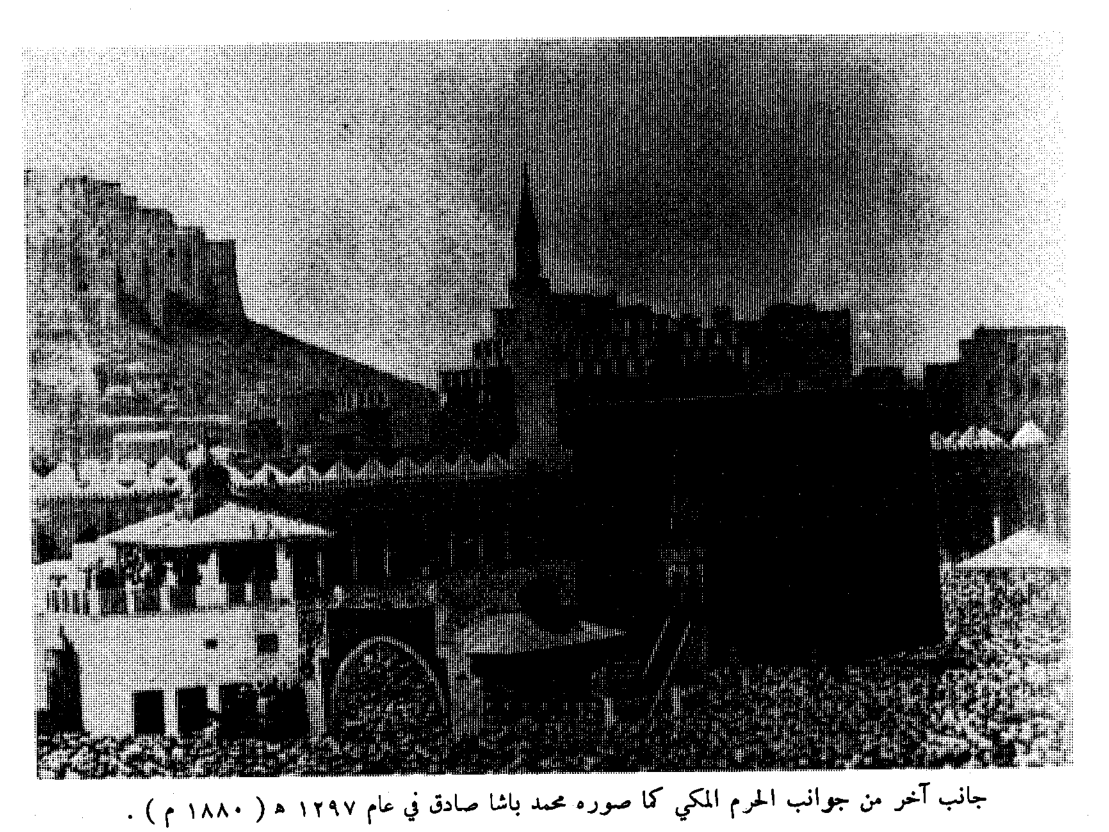
نظام التدريس الجديد :

ويبدو أن ما كان يلاقيه علماء مكة حينئذ من ضيق في العيش قد أصاب الحركة العلمية في الحرم المكي بشيء من الضعف والاضطراب . ولذلك فإن الحاجة ما لبثت أن دعت إلى تخصيص مرتب شهري لعدد من المدرسين ، ووضع نظام رسمي للتدريس في المسجد الحرام . وقد صدر هذا النظام في محرم ١٣٣٢ هـ (ديسمبر ١٩١٣ م) . وحيث أن في هذا النظام ما يلقي الضوء على كثير من جوانب الحياة العلمية في الحرم المكي ، فإني سأوجز فيما يلي أهم ما جاء فيه :

(أ) المشرفون على التعليم في المسجد الحرام :

١ – تشرف على التعليم في المسجد الحرام هيئة مكونة من مفتي الشافعية ومفتي المالكية ومفتي الحنابلة وثلاثة من المدرسين ويرأسها رئيس المدرسين مفتي الأحناف .

(١) كتابه السابق ، ص ١٥ – ١٦ .



جانب آخر من جوانب الحرم المكي كما صوره محمد باشا صادق في عام ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠ م) .

٢ ــ يعين كاتب يتولى صرف مرتبات المدرسين والمفتشين ، ويقوم بشؤون المعاملات المتصلة بالتدريس في الحرم .

٣ ــ يعين مفتشان قديران بمعاش شهري ليشرفا على سير الدراسة في الحرم ويراقبا ما يدور في حلقاته .

٤ ــ يعين خمسة عشر مدرساً من « العلماء الملازمين المقتدرين على أداء الوظيفة بانتخاب المفاتي الأربعة ووجوه العلماء » ويرتب لهم معاش شهري .

(ب) واجبات المدرس وقواعد تعيينه :

١ ــ على المدرس ذي المعاش أن يدرس ثلاثة دروس في اليوم والليلة . أما المدرسون الملازمون فانهم يدرسون حسب استطاعتهم .

٢ ــ إذا ابتدأ المدرس ــ سواء كان من أرباب المعاش أو الملازمين ــ كتاباً فعليه أن يتمه وأن يراعى مناسبته لمستوى الطلاب .

٣ ــ إذا شغرت وظيفة مدرس ، عين بدله مدرس آخر « من الملازمين المقيدة أسماؤهم في دفترهم من أرباب الاقتدار » وذلك بعد أن يمتحنه أعضاء الهيئة المشرفة على التعليم بالمسجد الحرام والمدرسون أرباب المعاش في اثنى عشر فناً من الفنون الخمسة عشر التي تدرس في المسجد الحرام(١) . وإذا تعدد طالبو الوظيفة أُجريت بينهم مسابقة .

٤ ــ إذا شغل المدرس وظيفة أُخرى لا تمكنه من القيام بواجبات التدريس المقررة عين غيره « ما لم تكن تلك الوظيفة موقتة وجهت له لمصلحة العموم والا انتظر لفراغه منها » .

---

(١) انظر ما سيأتي من حديث عن العلوم التي تدرس في المسجد الحرام .

٥ – « كل من دخل في دفتر ملازمي التدريس وكان ناقصاً طلبه عن الستة العلوم وهي الفقه والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع ولم يشتغل بالطلب لإتمام لياقته فإنه ينبه عليه بالطلب ، وإذا لم يمتثل التنبيه المذكور محي اسمه من دفتر الملازمين » .

٦ – « لا يجوز لأحد الطلبة أن يستدعى في وظيفة التدريس إلا بعد أن يشتغل في طلب العلم على مشائخ معينين وبعـــد ذلك يمتحن فإذا برع في نحو الستة العلوم (الفقه والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع) أعطيت له شهادة اللياقة بالتدريس في المسجد الحرام على قدر استطاعته أو يقيد من الملازمين » .

٧ – « ان الصدقات الواردة تقسم على جميع المدرسين والملازمين حسب التعامل القـــديم » .

(ج) التدريس والامتحانات :

١ – تعطى كل الدروس باللغة العربية ، ويجوز للمدرس أن يترجم معاني الكتاب الذي يقرؤه إذا كان طلبته من غير العرب .

٢ – تدرس بالمسجد الحرام الفنون الآتية : التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه وأصول الحديث والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق والتاريخ والسير والعلوم الرياضية .

٣ – يقوم المدرس في شهري شعبان ورمضان بتدريس التفسير والحديث والتوحيد « بلا تحديد وقت للتدريس فيه ولا عدد بل في أي وقت شاء درس ، ومن ابتداء شوّال إلى نهاية ذي القعدة يكون التدريس في المناسك لاستفادة الحجاج والطلبة وله التدريس في غيرها على حسب ما يريد .

ومن ابتداء شهر ذي الحجة الحرام إلى عشرة في المحرم يكون تعطيل الدروس وكذا في يوم الجمعة والثلاثاء والأعياد لمن أراد التعطيل للتفسح وله الفسحة المطلقة في برجي الأسد والسنبلة لضرورة شدة الحر فيهما بمكة » .

٤ – تعين الهيئة المشرفة على التعليم في المسجد الحرام خمسة من المدرسين لامتحان الطلاب امتحاناً عاماً ، وتطلب الهيئة من المدرسين كتابة « نمرة كل طالب في الجدول الذي يقدم لهم من كل مدرس ، ويكون ذلك التنمير بعد الامتحان بحسب ما برعت فيه الطلبة من العلوم ، ويقدم للرئيس والهيئة ليجروا تقديرهم » .

٥ – يقدم المدرس لهيئة الامتحان جدولا بأسماء طلابه وبما قرؤوه عليه من الكتب ، وذلك لكي تسجل فيه الهيئة الدرجات التي يستحقها الطلاب . ويعقد الامتحان بعد سنتين ويكون وقته شهر رجب ، ثم بعد السنتين يكون الامتحان سنوياً في شهر رجب . ولا يجوز للمدرس أن يقرأ لطلابه – إذا رأى عدم كفاءتهم بعد الامتحان – كتاباً أعلى مستوى من الكتاب الذي أتمه ، بل عليه أن يعيده لهم أو يقرأ لهم كتاباً مماثلا له .

٦ – إذا تأخر طالب عن أداء الامتحان في وقته بدون عذر شرعي فإنه « لا يجوز له قراءة كتب أكبر من الكتب التي قرأها في سنة الامتحان بل يبقى في مثلها » . وإذا تأخر لعذر شرعي فإن هيئة الامتحان تعقد له امتحاناً عند زوال عذره(١) .

الاجازات العلميـــة :

لم يكن طلاب العلم النابهون في الحرم المكي يمنحون شهادات دراسية ، بل كانوا يحصلون على اجازات علمية من أساتذتهم . وكان علماء الحرم يتبعون

---

(١) الطوالع السنية في نظام التدريس بمسجد مكة المحمية ، ص ٣ – ١٠ .

في منح هذه الاجازات التقاليد العلمية التي وجدت في المجتمع الإسلامي منذ القرون الأولى للهجرة(١) . وكان طلاب العلم في المسجد الحرام يحرصون على نيل هذه الاجازات ويهتمون بجمعها . وقد خلف علماء هذه الفترة عدداً وافراً من هذه الاجازات التي تلقى الضوء على الحياة العلمية ، وتسجل بعض الحقائق المتصلة بتاريخ التعليم في هذه الحقبة .

وسأورد فيما يلي عددا من الاجازات العلمية المخطوطة التي حصل عليها الشيخان عبد الرحمن بن حسن العجيمي وحسن بن عبد الرحمن العجيمي من بعض أساتذتهما في الحرم المكي وذلك لما فيها من تبيان لبعض الحقائق التاريخية ، وتوضيح للتقاليد العلمية التي كانت متبعة آنذاك :

١ ــ اجازة من الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله سراج للشيخ عبد الرحمن ابن حسن العجيمي في سنة ١٢٩٥ هـ :

« حمداً لمن هدانا بسيدنا محمد بن عبد الله ، وشكرا على ما أولانا من مزيد كرم لا حد لمنتهاه ، وصلاة وسلاما على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله سفن النجاة وأصحابه الهداة ، وعلى ذريته الذين شيد بهم الدين وكل عبد أواه .

أما بعد فقد التمس مني العالم الكامل والهمام الفاضل ابن الأفاضل أخي العلامة الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسن العجيمي سلمهما الله الاجازة العامة مع ذكر السند ، فامتثلت أمره العالي وإن كنت لست أهلا لذلك ، كما قال القائل :

وما كنت أهلا أن أجاز فكيف أن أجيز ولكن الحقائق قــد تخفى

(٢) للاطلاع على نظام الاجازات العلمية ، انظر : أحمد شلبـي ، تاريخ التربية الإسلامية ، ص ٢٤٥ – ٢٥٢ .

فاستخرت الله وأجزت الأخ المذكور اجازة عامة مطلقة بالشرط المعتبر عند أهل الأثر بجميع ما لي فيه رواية واجازة من قراءة وتفسير وحديث وأصلين وفقه ونحو وغيرها بحق اجازتي بذلك من شيخنا العلامة الفهامة طوالع الأنوار والدر المختار جمال الدين وعمدة الفقهاء والمحدثين الشيخ جمال بن عبد الله شيخ عمر ، سلف الخير في افتاء مكة المشرفة ونواحيها عن شيخه العلامة سراج الحرمين وثالث القمرين والدي المرحوم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن سراج عن شيخه العلامة الحافظ العمري الشيخ محمد بن هاشم الفلاني العمري عن شيخه خاتمة المحدثين الفهامة الأثري الشيخ محمد صالح المشوفي الفلاني العمري نزيل طيبة الطيبة بجميع ماله فيه من رواية وأخذ واعطاء مما هو مفصل في ثبت العلامة شيخ شيخ والدنا الشيخ محمد صالح المذكور المسمى ذلك الثبت بقطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات والأثر وعن شيخنا المرحوم العلامة الشيخ جمال المذكور عن شيخه خاتمة الحفاظ في هذا الزمن وعمدة الفقهاء والمحدثين في الهند والحجاز واليمن المرحوم العلامة الشيخ محمد عابد بن أحمد بن علي السندي ثم الزبيدي ثم المدني اقامة ووفاة بما هو مفصل في ثبته المشهور بحصر الشارد في أسانيد الشيخ محمد عابد .

هذا وأُوصي الأخ المذكور بتقوى الله في السر والعلن ومراقبته فيما ظهر وبطن ، وألا ينساني من دعواته في خلواته وجلواته . والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين . قاله بفمه ورقمه بقلمه الفقير إلى عفو مولاه مغني المحتاج عبد الرحمن بن عبد الله سراج الحنفي المفتي بمكة المكرمة تاب الله عليه وغفر له ولوالديه والمؤمنين آمين » .

اجازة من الشيخ عبد الرحمن سراج للشيخ عبد الرحمن العجيمي وهي بخط المجيز

٢ ـ اجازة من الشيخ أحمد أبو الخير للشيخ حسن بن عبد الرحمن العجيمي في عام ١٣١٩ هـ :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا وسندنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد ، فقد سمع من لفظي الحديث المسلسل بالأولية على شرطه الأولية الحقيقية صاحبنا الشيخ الفاضل بدر الدين حسن بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن علي بن محمد بن الشيخ العلامة المسند الكبير والمحدث الشهير حسن بن علي العجيمي المكي الحنفي فتح الله عليه فتوح العارفين ، وطلب من الحقير روايته عني مع اقراري واعترافي بقصور باعي وقلة اطلاعي ، وانما حسن ظنه في الحقير ، فامتثلت أمره وأجزته أن يرويه عني بشرط الأهلية مني ومنه . وقد رويته عن مشايخ كثيرين ذكرتهم في معجم شيوخي .

وأُوصيه بما أُوصي به نفسي من ملازمة التقوى في السر والنجوى ، وألا ينساني من صالح الدعوات في الخلوات والجلوات . وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله رب العالمين .

قاله بفمه وكتبه بقلمه الراجي لطف ربه السرمدي أحمد أبو الخير المكي ابن المرحوم عثمان بن علي جمال الأحمدي غفر الله لهم آمين . ٣٠ ذي القعدة الحرام سنة ١٣١٩ هـ » .

اجازة من الشيخ أحمد أبو الخير للشيخ حسن العجيمي وهي بخط المجيز .

٣ ـ اجازة من الشيخ عمر بن محمد شطا للشيخ حسن بن عبد الرحمن العجيمي في عام ١٣٢٩ هـ ، وقد بدئت بصورة الاجازة التي حصل عليها الشيخ عمر من شيخه عيدروس بن عمر الحبشي في سنة ١٣٠٦ هـ :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله الذي جعل الاسناد ورفعه إلى أشرف العباد من أجل المطالب للطالب ، إذ هو من النعم التي اختصت بها الأمة المحمدية وكان من أسنى المطالب. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نظير ولا مغالب ، وأشهد أن سيدنا محمد الذي اختصه الله بما لم يعط لسواه من الأقارب والأجانب ، صلى الله عليه وعلى آله الأطايب ، وصحبه النجوم الغياهب .

أما بعد فإنه لما كان أهل الفضل والعلم وأرباب الاجازات والافادة والحكم يتنافسون في اتصال الاسناد ، وتقوية ما لديهم وكانوا في غنية بما يتفضل الله به عليهم وجاد ، سألني الاجازة ، السادة القادة ، أرباب الكمال والإفادة عمر وأبو بكر أبناء السيد محمد شطا ، أجزل الله لنا ولهم من فضله وجود في العطاء ، وطلبوا أن تكون اجازة خاصة وعامة في ساير العلوم والأذكار والأوراد ، وذلك حسن ظن منهما أن الحقير لذلك الشأن أهل ، وأنه من أهل الحجا والفضل وليس الأمر كذلك ، ولكن أجبت مطلبهما ، وسألت الله ألا يخيب ظنهما .

فأقول وعلى الله التكلان وهو المستعان اني أجزت السيدين المذكورين وأولادهم اجازة شاملة كاملة في كل ما تجوز روايته وتنفع درايته من منقول ومعقول وفروع وأُصول سيما علوم التفسير والتأويل وعلوم السنة سيما الأمهات الست وفي ساير العلوم فقها ونحواً وغيرهما من العلوم الشرعية ، كل ذلك بشرطه المعتبر عند أهل الحديث والأثر . وكذلك أجزت المذكورين في ساير الأذكار النبوية وفي ساير الأحزاب السلفية من كل الأوراد المنسوبة

إلى المشايخ الأماجد كما أجازني بذلك عدة من العلماء الأعيان بأسانيدهم الثابتة القوية الحسان المتصلة بأرباب الاثبات من الأئمة الثقات ، فمن أشياخنا سيدي ووالدي عمر بن عيدروس ، عليه رحمة الملك القدوس ، فاني أروي عنه جميع العلوم ، على سبيل العموم ، وهو يروي كذلك عن الشيخين الامامين الشيخ الامام ذي المعارف والعوارف والأسرار عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار ، والشيخ الامام الحبر الرئيس ، إمام المقام ومفتّي الشافعية على مذهب ابن ادريس ، محمد صالح الريس رضي الله عنهما ، وأخذهما معلوم لدى المجازين ، وأجل من أخذا عنه السيد الامام علي بن عبد البر الونائي ، وأسانيده شهيرة وله اثبات كثيرة ، فليرجع إليها من أراد رفع الاسناد .

هذا والمسؤول من سادتي ألا يخلو الفقير وذويه من الدعاء بالجوامع الكوامل خصوصاً في أوقات الاجابة ومحالها ، وأوصيهم بتقوى الله تعالى التي هي عبارة عن امتثال أوامره واجتناب نواهيه ، مع احسان العمل واكماله واخلاص القصد لله فيه . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . قاله بفمه وأمر برقمه الفقير إلى عفو ربه القدوس ، عيدروس ابن عمر بن عيدروس الحبشي علوي عفا الله عنه بتاريخ يوم الأربعاء عشرون من شوال عام ألف وثلاثمائه وست .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد فقد أجزت العالم الفاضل الشيخ حسن بن المرحوم الشيخ عبد الرحمن العجيمي اجازة شاملة كاملة في كل ما تجوز روايته وتنفع درايته من منقول ومعقول وفروع وأصول سيما علوم التفسير والتأويل وعلوم السنة سيما الأمهات الست ، وفي ساير العلوم فقهاً ونحواً وغيرهما من العلوم الشرعية

كل ذلك بشرطه المعتبر عند أهل الحديث والأثر ، وكذلك أجزت المذكور في ساير الأذكار النبوية ، وفي ساير الأحزاب السلفية من كل الأوراد المنسوبة للمشايخ الأمجاد كما أجازني بذلك الحبيب عيدروس بن عمر بن عيدروس الحبشي عن أشياخه المذكورين في تأليفه عقد اليواقيت الجوهرية وبجميع ما هو مذكور في اجازته وفي كتابه عقد اليواقيت الجوهرية وطريقة السادة العلوية وغيرهم . وأسأل الله الكريم أن يطيل عمره ويوفقه للعمل بالعلم والزيادة منه ، وأن يمن علينا جميعاً بحسن الختام عند حضور الحمام . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . قاله بفمه وأمر برقمه السيد محمد عمر بن محمد شطا عفى عنهما آمين يارب العالمين . حرر في رجب سنة ١٣٢٩ هـ » .

◇◇◇◇◇◇

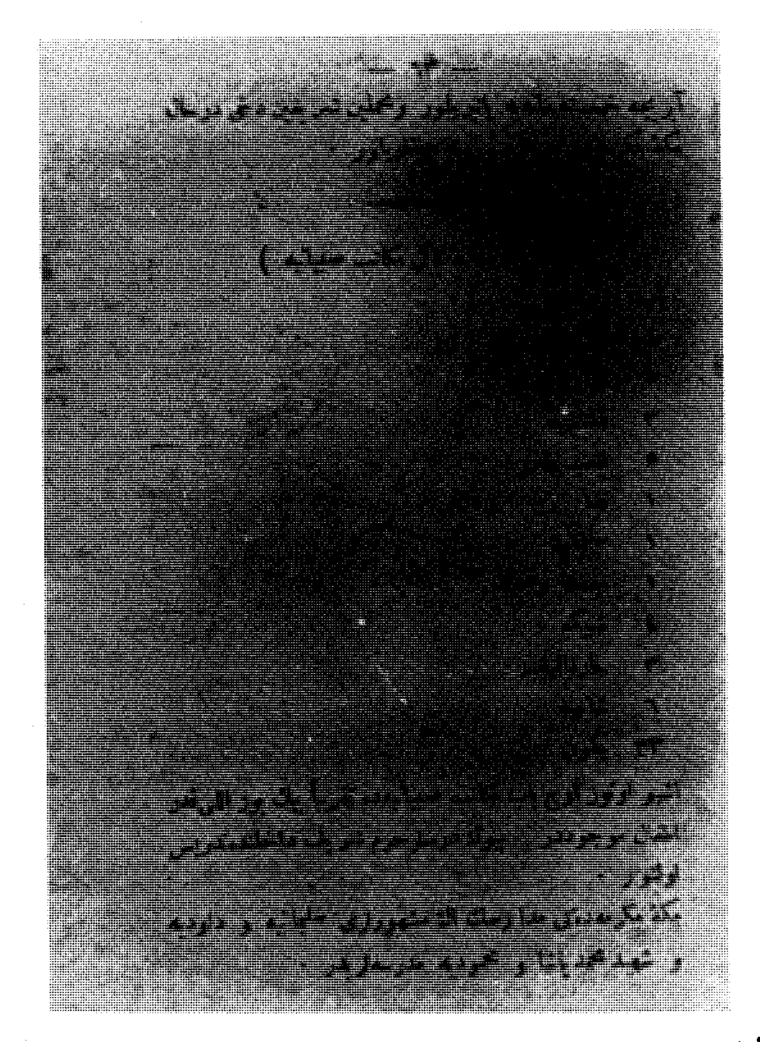
التعلــيم الحكومي

أول إحصاء رسمي للتعليم بمكة :

وإلى جانب الحرمين الشريفين وجد في ولاية الحجاز في هذه الفترة نوعان من التعليم ، نوع حكومي ونوع أهلي . أما التعليم الحكومي فكان يسير وفق أنظمة التعليم المتبعة في الولايات العثمانية الأخرى . وكان التعلم العثماني يتكون في أوائل القرن التاسع عشر من كتاتيب ومدارس دينية ، ثم أُدخلت بعد ذلك عدة اصلاحات تعليمية بحيث أصبح التعليم المدني يتألف في آخر القرن التاسع عشر من مرحلة ابتدائية مدتها ثلاث سنوات ، ثم مرحلة رشدية مدتها ثلاث سنوات ، ثم مرحلة اعدادية ، وكانت المدارس الاعدادية نوعين ، نوع مدته خمس سنوات خصصت السنوات الثلاث الأولى منه للمرحلة الرشدية ، ونوع آخر مدته سبع سنوات ، خصصت سنواته الثلاث الأولى للمرحلة الرشدية . وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك مدارس صناعية وزراعية ودور للمعلمين(١) .

وقد وجدت في ولاية الحجاز بعض أنماط هذا التعليم الرسمي الذي كان يتخذ اللسان التركي لغة له . ولعل أول احصاء رسمي للتعليم في ولاية الحجاز في هذه الفترة هو ما نشر في التقويم الرسمي لولاية الحجاز « حجاز ولايتي سالنامه سي » الذي صدر أول عدد من أعداده في عام ١٣٠١ هـ (١٨٨٣ — ١٨٨٤ م) والذي ظهرت منه خمسة أعداد باللغة التركية أُرِّخ آخر عدد منها

(١) ساطع الحصري ، حولية الثقافة العربية « السنة الأولى » ، ص ٣ — ٧ .



أول إحصاء رسمي لكتاتيب مكة ومدارسها كما نشر في سالنامة ولاية الحجاز عام ١٣٠١ هـ

في عام ١٣٠٩ هـ(١) (١٨٩١ – ١٨٩٢ م) . وسأورد فيما يلي خلاصة احصائية للتعليم بمكة المكرمة مستقاة من الأعداد الخمسة لسالنامة ولاية الحجاز :

أولا – الكتاتيب :

عـــام	عدد الكتاتيب	عدد التلاميذ
١٣٠١	٣٣	١١٥٠
١٣٠٣	٣٣	١١٥٠
١٣٠٥	٤٣	—
١٣٠٦	٤٣	—
١٣٠٩	٤٣	—

ثانياً – المدارس الدينية الأولية(٢) :

عـــام	عدد المدارس
١٣٠١	٤
١٣٠٣	٣
١٣٠٥	٦
١٣٠٦	٦
١٣٠٩	٦

(١) للاطلاع على مزيد من المعلومات حول « سالنامة ولاية الحجاز » انظر ما ذكره المؤلف في كتابه « الصحافة في الحجاز » ، ص ٢٠ – ٢٧ .

(٢) ان عدد المدارس الدينية الذي ورد في عامي ١٣٠١ و ١٣٠٣ هـ قد ذكر في السالنامة على أساس أنه يمثل أشهر المدارس الدينية الموجودة بمكة .

ثالثاً – المدرسة الرشدية :

عـــام	عدد المدرسين	عدد التلاميذ
١٣٠٣	٣	٦٥
١٣٠٥	٣	٦٠
١٣٠٦	٣	٧٠
١٣٠٩	٣	٧٠

وقد ذكر محمد صادق الذي زار مكة في عام ١٣٠٢ هـ (١٨٨٥ م) أنه كان في مكة المكرمة حينئذ « ست مدارس للعلوم »(١) .

المدرسة الرشـــدية :

ويبدو أن أول محاولة لادخال التعليم الحديث في مكة المكرمة قد تمت بين عامي ١٣٠١ هـ (١٨٨٤ م) و ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) ، وذلك حين أُنشئت المدرسة الرشدية . ولم تتم هذه المحاولة في « أواخر القرن الثالث عشر » الهجري كما يقول الأستاذ أحمد السباعي(٢) ، ذلك لأن العدد الأول من « سالنامة ولاية الحجاز » الذي صدر في مطلع القرن الرابع عشر الهجري لم يشر إلى أن المدرسة الرشدية قد افتتحت بمكة حينئذ، وكلما جاء فيه هو أن عددا من طلاب المدرسة السليمانية الدينية بمكة قد اختيروا للالتحاق بالمدرسة الرشدية عند افتتاحها ، وأنهم ينتظرون وصول أساتذة هذه المدرسة من استانبول(٣) . ولم تبدأ السالنامة

(١) دليل الحج ، ص ٥٨ .
(٢) انظر كتابه السابق ، ص ٢٠١ .
(٣) سالنامة ولاية الحجاز « سنة ١٣٠١ هـ » ، ص ٦٤ .

– كما أشير إلى ذلك من قبل – في ذكر المدرسة الرشدية كمدرسة من المدارس المنشأة إلا منذ العدد الثاني الذي صدر في عام ١٣٠٣ هـ (١٨٨٦ م) .

وقد نشرت جريدة « حجاز » الرسمية في عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) بياناً رسمياً بالمواد التي تدرس في المدارس الرشدية . وقد أوضح البيان مواد كل صف من الصفوف الرشدية وفق ما يلي :

الصف الأول : القرآن الكريم ، مختصر علم الحال ، مختصر صرف اللغة التركية والاملاء ، الحساب « القواعد الصحيحة والقواعد الأربع » ، المطالعة العثمانية ، الخط العثماني .

الصف الثاني : علم الحال ، اللغة العربية « الصرف » ، قواعد اللغة الفارسية قواعد اللغة التركية والاملاء ، مختصر الجغرافيا العامة ، الحساب « الكسور والمقاييس والأعداد المركبة » ، المطالعة العثمانية ، الخط العثماني ، الرسم ، الرياضة البدنية .

الصف الثالث : علم الحال ، قواعد اللغة العربية ، اللغة الفارسية «تطبيقات» قواعد اللغة التركية والاملاء ، الجغرافيا العامة « أوربا » ، الحساب ، أُصول مسك الدفاتر ، اللغة الفرنسية ، مختصر حفظ الصحة ، الخط ، الرسم ، الرياضة البدنية .

الصف الرابع : العلوم الدينية « من شرح القدوري » ، اللغة العربية « تطبيقات » ، الجبر « معادلات الدرجة الثانية إلى انتهائها » ، الهندسة المسطحة ، الجغرافيا العامة ، جغرافية الدولة العثمانية ، الانشاء ، التاريخ العام « القرون الأولى والوسطى » ، اللغة الفرنسية ، الرسم ، الرياضة البدنية .

الصف الخامس : العقائد الدينية ، المثلثات وتطبيقات الجبر ، الهندسة المجسمة،
تاريخ الدولة العثمانية ، التاريخ العام « القرن الأخير » ،
الانشاء ، المنطق « باللغة التركية » ، اللغة الفرنسية « قواعد
وقراءة وترجمة » ، الرسم ، الرياضة البدنية(١) .

وقد تحدث الأستاذ عبد الله خوجه عن المدرسة الرشدية بمكة وأشار إلى بعض تقاليدها العلمية فقال : « كان من نظام المدارس التركية مثل المدرسة الرشدية التي كانت بسوق المعلى وغيرها أن يقلد برنجي أكبر فصل من فصول المدرســة أي النفر الأول لأرقى فصل من فصول المدرسة وسام ذكرى الاستقلال ليلبسه على صدره في الأيام الرسمية كالأعياد والمقابلات والحفلات وما شاكل ذلك ، ليعرفه الناس ويأخذ له عموم الجنود التحية العسكرية ، وليفخر ويعتز بذلك الطالب النجيب،وليظهر للناس عدد رؤساء المدارس حينما يقف هؤلاء الرؤساء كل منهم أمام مدرسته وتحت علمها »(٢) . وأضاف الأستاذ عبد الله خوجه إلى ذلك قوله بأنه « كان من جملة الأنظمة في المدارس التركية أن يعطى للطالب المتفوق في فن من الفنون ورقة خضراء مطبوع عليها (افرم افرم) ومعنى ذلك أي تشجع واجتهد وتقدم،وهي لفظة تركية،والطالب الذي كان يحصل على ثلاث أوراق من الافريمات تسحب منه ويعطى بدلها ورقة أكبر منها مكتوب عليها (شهادة ناماسي) ومعناها أن حامل هذه الشهادة يزاد في الاختبار على مجموع نمره نمرا أخرى برأي عموم أساتذة المدرسة والإدارة . وكانت تلك العادة أو ذلك النظام معمولا به إلى وقت قريب في بعض المدارس ، وكان الطالب الحاصل على أوراق شهادة (ناماسي) تعطى له تلك الشهادات

(١) جريدة « حجاز » ، عدد ٣٩ (١٣٢٧/٩/٢٩ هـ – ١٩٠٩/١٠/١٤ م) .

(٢) تقرير عن ماضي التعليم بمكة المكرمة مؤرخ في ١٣٨٨/٤/٣ هـ ، ص ٣٥ . (محفوظ في مكتبة الوثائق التربوية بوزارة المعارف في الرياض) .

النماسي مع شهادة الدراسة ليعتز ويفتخر بها ويضعها في برواز مع الشهادات التي حصل عليها طيلة حياته الدراسية »(١) .

وحيث أن المدرسة الرشدية كانت تدرس المواد باللغة التركية ، فإنه لم يلتحق بها إلا أبناء الموظفين الأتراك وأبناء من كانت لهم صلة بالحكومة التركية ، أما سائر الناس فلم يقبلوا عليها لأنهم خافوا من أن « غرض الأتراك من انشائها هو تتريك العرب »(٢) ، ولأنهم خافوا كذلك من أن تكون وسيلة لادخال أبنائهم إلى السلك العسكري(٣) .

التعليم الحكومي بعد عام ١٣٢٦ هـ :

ويبدو من قراءة جريدة « حجاز » الرسمية التي صدرت بعد اعلان الدستور العثماني في عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) أنه كان هناك شعور قوي بحاجة ولاية الحجاز إلى التعليم الحديث ، وأن الحكومة التركية قد اهتمت بتطوير التعليم في الحجاز ورفع مستواه . فقد جاء في العدد الرابع عشر من هذه الجريدة أن والي الحجاز اهتم بأمر المعارف في مكة فشكل لجنة برئاسة مكتوبي الولاية « أمين سر الولاية » وعضوية أمين أفندي مدير الحرم وفيضي أفندي مدير المعارف وابراهيم أفندي نائب الحرم السابق والشيخ عارف خان « وآخرين غيرهم » ، وذكرت الجريدة كذلك بأن هذه اللجنة قد بحثت موضوع إيجاد مكان فسيح يصلح لأن يكون مدرسة ابتدائية ورشدية واعدادية ، وناقشت مشروع تأسيس مدرسة صناعية(٤) .

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) أحمد السباعي ، كتابه السابق ، ص ٢٠١ .
(٣) صالح خزامي ، تقرير عن ماضي التعليم بمكة المكرمة ، مؤرخ في ١٣٨٧/٨/٧ هـ ، (محفوظ في مكتبة الوثائق التربوية بوزارة المعارف في الرياض) . وانظر كذلك أحمد إبراهيم الغزاوي ، مقالته السابقة ، وعبد الله خوجه ، تقريره السابق .
(٤) عدد ١٤ (١٣٢٧/١/٢٠ هـ — ١٩٠٩/٢/٥ م) .

وورد في العدد الخامس والأربعين من جريدة « حجاز » أنه قد تكونت هيئة للمعارف في مكة برئاسة أمين بك أفندي ، وأن هذه الهيئة قد قررت تأسيس أربع مدارس ابتدائية في مكة يقبل فيها تلميذان من كل قبيلة من القبائل المجاورة ، ويقبل فيها كذلك مائة تلميذ في كل سنة . كما قررت الهيئة كذلك افتتاح مدرسة ليلية تضم مائة طالب ، وتدرس « العلوم الدينية والمعلومات المدنية مجاناً »(١) .

وفي ٢٥ محرم ١٣٢٨ هـ أسس فرع جمعية الاتحاد والترقي بمكة مدرسة « برهان الاتحاد » التي التحق بها حين افتتاحها خمسون طالباً(٢) . وفي عام ١٣٢٨ هـ أُفتتحت مدرسة صناعية في مكة المكرمة وأوفد لها مدرسون من استانبول(٣) . وقد ذكر م. راغب في مقالة نشرها عن التعليم أن والي الحجاز قد عزم على تأسيس مدرسة اعدادية ليلية في الولاية(٤) .

وجاء في الاحصاءات الرسمية التي نشرتها وزارة المعارف العمومية العثمانية سنة ١٩١٥ م أن المدارس الابتدائية التي كانت موجودة في ولاية الحجاز قبيل الحرب العالمية الأولى قد بلغت ثماني وسبعين مدرسة(٥) . ولكن يبدو أن هذا العدد يزيد كثيراً عما كان موجوداً حينئذ في ولاية الحجاز من مدارس ابتدائية ، ولعله قد قصد به أن يسجل مجموع الكتاتيب والمدارس الابتدائية الحكومية والأهلية التي كانت موجودة في الولاية .

---

(١) عدد ٤٥ (١٣٢٨/١/٢٣ هـ — ١٩١٠/٢/٤ م) .
(٢) « حجاز » عدد ٤٦ (١٣٢٨/١/٣٠ هـ — ١٩١٠/٢/١١ م) .
(٣) المصدر نفسه ، عدد ٦٠ (١٣٢٨/٧/٢٨ هـ — ١٩١٠/٨/٥ م) .
وعدد ٦٤ (١٣٢٨/١١/٣ هـ — ١٩١٠/١١/٦ م) .
(٤) المصدر نفسه ، عدد ١٢٩ (١٣٣١/٦/١٦ هـ — ١٩١٣/٥/٢٣ م) .
(٥) انظر ساطع الحصري ، كتابه السابق ، ص ٨ — ٩ .

وحيث أن المسؤولين في ولاية الحجاز لم يكونوا راضين عن مدى انتشار اللغة التركية الرسمية في مكة ، فقد ازداد اهتمامهم بتعليم هذه اللغة . فإلى جانب المدارس الحكومية التي كانت تدرس موادها باللغة التركية نظم فرع جمعية الاتحاد والترقي دروساً مسائية لتعليم اللغة التركية في مكة المكرمة(١) . وقد ذكر محمد لبيب البتنوني الذي زار مكة في عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) أن « غالب أهل مكة يتكلمون بالتركية »(٢) ، ولكن يبدو أنه لم يقصد بهذا إلا أن يقول بأنهم يعرفون بضع كلمات أو جمل من هذه اللغة ، ذلك لأن أمين سر ولاية الحجاز قد اشتكى في كلمة نشرتها جريدة « حجاز » في عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) من جهل أهل مكة باللغة التركية الرسمية وقال مخاطباً القراء : « أسألكم كم من مدرسة تعدون في هذه البلدة المشرفة ، كم تعدون فيها من المعلمين ، كم تعدون فيها من رجال يجوز انتخابهم للمبعوثين من الذين أحاطوا علماً بلسان الدولة الرسمي ؟ أخي إني أقرب لك الأمر وأقول اننا في مكة هذه بطولها وعرضها لم نجد رجلا أهلا يتولى أمر الترجمة في جريدتنا هذه »(٣) .

وقد اهتم المسؤولون حينئذ بتنظيم هيئة التعليم في الولاية وفق أُسس حديثة ، فصدر في عام ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) نظام حدد واجبات مدير المعارف ومفتشيها . وقد فصل النظام صلاحيات مدير المعارف حيث قال :

١ ـ تكون إدارة المدارس الابتدائية والرشدية ودار المعلمين تابعة لمدير المعارف.

٢ ـ تكون المدارس العالية « والتالية الخصوصية » تحت نظارته .

٣ ـ تكون الشؤون الدراسية في جميع المدارس الابتدائية تحت نظارته .

---

(١) « حجاز » عدد ٤٨ (١٣٢٨/٢/١٥ هـ ـ ١٩١٠/٢/٢٦ م) .

(٢) الرحلة الحجازية ، ص ٤٥ .

(٣) « مطلع أنوار المعارف » ، جريدة « حجاز » ، عدد ٣ (١٣٢٦/١٠/٢٩ هـ ـ ١٩٠٨/١١/٢٤ م) .

٤ – ترفع له التقارير التي يعدها مفتشو المعارف ومديرو المدارس الاعدادية .

٥ – ينظم جداول لترقيات ومكافآت الكتاب والمعلمين في المدارس الاعدادية ويقوم بعرض ذلك على نظارة المعارف . ويبدي مدير المعارف كذلك الرأي في حسابات إدارته ويشرف عليها . ويشكل الهيئة التي تقوم باختيار وامتحان الطلاب الذين يلتحقون بالمدارس مجاناً .

٦ – يتولى إدارة دار المعلمين في الولاية ، وينتخب أربعة أعضاء لمجلس إدارتها . ويقوم بتشكيل هيئة الامتحان وتحديد زمن العطلة .

٧ – على مدير المعارف أن يخرج بنفسه لتفقد المدارس .

أما مفتشو المعارف في الولاية فقد أوضح النظام واجباتهم حيث قال :

١ – على مفتشي المعارف أن يرجعوا إلى مدير المعارف في الأمور المتعلقة بالدراسة وأن يقدموا له تقاريرهم التي تناقش جوانب التدريس في المدارس الابتدائية .

٢ – يقدم المفتش كل ثلاثة أشهر تقريراً إلى مدير المعارف يبحث فيه أحوال المدارس الابتدائية ودار المعلمين في الولاية .

٣ – إذا غاب مدير المعارف فانه يجوز للمفتش أن يرأس المجالس المشكلة في المدارس وفي دار المعلمين والهيئات المكونة للنظر في كفاءة المعلمين . وله أن يعزل أو يبدل المعلمين الملازمين .

٤ – لا بد من أن يحصل المفتش على تكليف كتابي من الوالي لكي يتولى تعيين معلمي المدارس الابتدائية أو عزلهم أو نقلهم . ويعين المفتش معلمة الخياطة في كتاتيب البنات ، ويقوم بتوجيه اللوم لمن يستحق ذلك من مدرسي المدارس الابتدائية . أما اجراء الجزاء فإنه لا يقوم به إلا بعد أخذ رأي مجلس التعليم الابتدائي في الولاية(١) .

(١) المصدر نفسه ، عدد ٦٦ (١٣٢٨/١٢/٢ هـ – ١٩١٠/١٢/٥ م) .

التعــليم الأهــلي

الكتــاتيب :

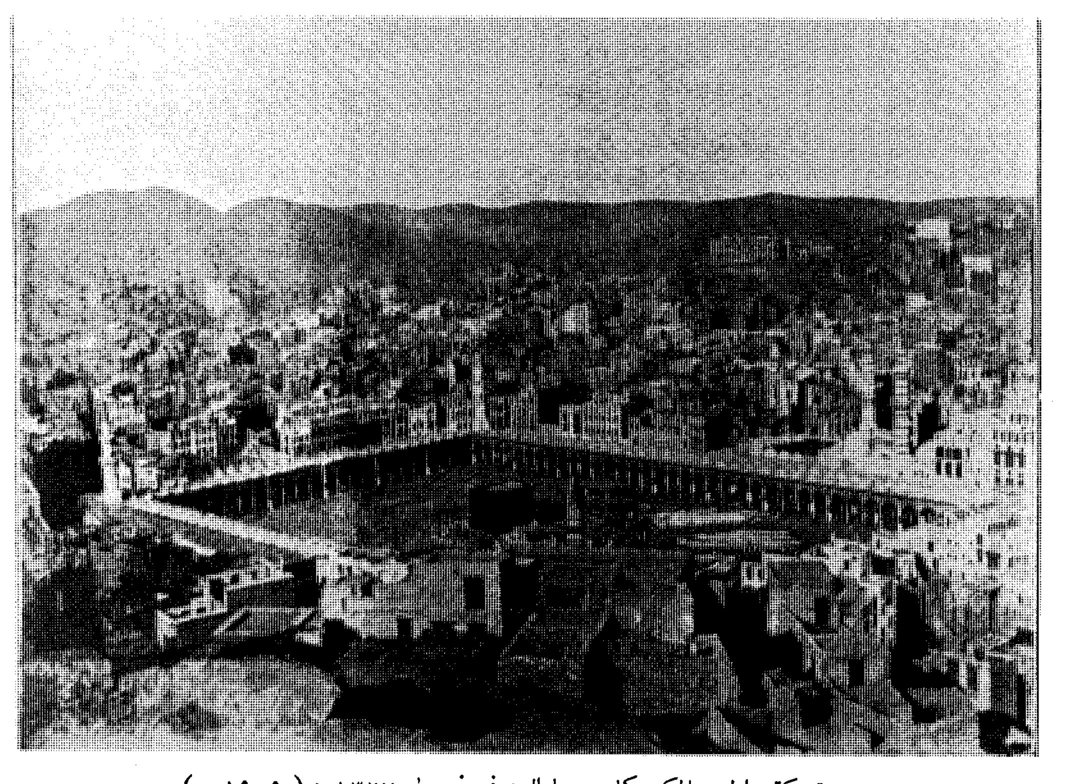
كانت الكتاتيب القاعدة الأولى للتعليم الأهلي ، وكانت هذه الكتاتيب منتشرة آنذاك في أحياء مكة(١) . وقد تحدث سنوك هرجرونجه – الذي زار مكة في أواخر القرن التاسع عشر – عن كتاتيب مكة ، ووصف تقاليدها العلمية وصفاً دقيقاً مفصلا(٢) . كما تحدث الأستاذ أحمد إبراهيم الغزاوي عن كتاتيب مكة ومناهجها في مطلع القرن العشرين فقال : «كانت الكتاتيب في مكة المكرمة أول معرفتي بالحياة أكثر من أن تحصى ، وأشهرها كتاب الشيخ عبد المعطي النوري في الشبيكة ، وكتاب الشيخ إبراهيم فوده في أجياد ، وكتاب الشيخ أحمد حمام في حارة الباب ، وما تخلو محلة من كتاب أو أكثر في طول أم القرى وعرضها . وكان من أهم الكتاتيب في حدود عام ١٣٢٦ و ١٣٣٠ هـ كتاب الشيخ عبد الله السناري « حمدوه » في باب الزيادة بزاوية السمان ، وكان من عرفائه الشيخ مصطفى يغمور ... وكان من جملة أساتذة الكتاب الكبير الشيخ أحمد السوركتي الداعية الاسلامي الكبير في جاوا والسيد أحمد مجاهد وغيرهما من رجال التعليم المخلصين .

وكان المنهج في أكثره تحفيظ القرآن والاملاء والخط والحساب ... وكانت هناك مواسم وأعياد للكتاتيب ، فاذا ما ختم أحد التلاميذ من بنين أو بنات

---

(١) انظر ما سبق من حديث عن الاحصاء الرسمي لكتاتيب مكة .

(٢) كتابه السابق ، ص ١١٤ – ١١٩ .



صورة مكة والحرم المكي كما رسمها البتنوني في عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) .

القرآن غيباً أو نظراً أو وصل إلى حد محدود من ذلك في المصحف الشريف أقام له أهله حفلا عظيماً سواء أكان ذكراً أم أُنثى ، وطاف به أو بها في موكب شعبي يطوف شوارع البلد في نسق جميل وعرض شائق ، وتكون الألواح مرفوعة فوق الرؤوس احتراماً واعظاماً لما تضمنته من آيات الذكر الحكيم . وكانت معاشر الحلوى البتاسة أو السمسمية أو الانبوته أو النبات الحموي المكلل بالأكاليل الذهبية أو الفضية أو هما معاً تتقدم العرض ، وأصوات المنشدين تردد بالدعوات الصالحات والابتهالات المشجية . وكما كانت تقام للأولاد فهي أيضاً للبنات ، وكن مع الفقيهة والعريفة والخادمات والوصيفات ينتظمن صفوفاً صفوفاً في مربعات أو مسدسات ويجلن ما اتسع لهن الوقت في الطرقات من الكتّاب إلى الكتّاب تماماً كما كانت الحـــال في القرانات والاملاكات وفي الزفاف والصرارات . وربما صحب ذلك في الأولاد خاصة بعض الدفوف أو ما يسمى بالطاسة والزير . ويعقب ذلك دعوة عامة للطلبة أو الطالبات في دار الفائز الناجح أو الناجحة الفائزة فيتناولون فيها الغداء ، ويتخلل ذلك الغناء ، وتتجلى مظاهر الفرح والكرم والهناء اغتباطاً وتشجيعاً وشكراً وحمداً . وكان لكل ذلك أثره العميق في المنافسة على التبريز والتمييز . وتسمى هذه الاحتفالات « اصرافة » لانصراف الطلاب بعدها إلى العطلة ، و « الاقلابة » وأغلب الظن أنها لقلب صفحات جديدة مستأنفة بعدها »(١) . انتهى .

المدرسة الصـــولتية :

كانت هناك في مكة بعض المدارس الدينية التي تشبه في اختيار موادها ومناهجها تقاليد الحرم المكي . ومن أشهر هذه المدارس وأعظمها أثراً المدرسة الصولتية الهندية التي أسسها الشيخ محمد رحمة الله العثماني في عام ١٢٩٢ هـ

(١) مقالته السابقة .

(١٨٧٥ م) . وقد اعتمدت هذه المدرسة على المساعدات الخيرية التي كان يقدمها مسلمو الهند . وكان عدد الطلاب في عهد مؤسسها الذي توفي عام ١٣٠٨هـ يتراوح بين ١٥٠ و ٢٠٠ طالب ، كما أن مدرسيها كانوا حينئذ عشرة(١) .

وكانت المدرسة الصولتية تتألف من عدة مراحل دراسية ، وقد انتظمت الدراسة فيها منذ عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م (حتى عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) حسب التقسيم التالي :

١ ــ القسم التحضيري ومدته أربع سنوات .

٢ ــ القسم الابتدائي ومدته أربع سنوات .

٣ ــ القسم الثانوي ومدته أربع سنوات .

٤ ــ قسم التكميل « القسم العالي » ومدته سنتان(٢) .

وجاء في كتاب « صدى العلم من الحجاز » الذي أصدرته المدرسة الصولتية في عام ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) بمناسبة الاحتفال بتوزيع الجوائز على الطلاب الناجحين في امتحان عام ١٣٣٠ هـ أن أهم ما كان يدرس حينئذ في المدرسة خمس وعشرون مادة هي : القرآن الشريف بالتجويد مع الحفظ ، علم تفسير القرآن المجيد ، الحديث ، التوحيد والعقائد ، الفقه الحنفي ، الفقه الشافعي ، أُصول الحديث ، أُصول الفقه ، الفرائض والمواريث ، الأخلاق ، التاريخ الإسلامي ، المعاني والبيان والبديع ، الأدب ، المنطق ، الحكمة ،

---

(١) محمد سليم رحمة الله « حديث صحفي » ، مجلة المنهل ، عدد ٩ ، ١٠ ذو القعدة والحجة ١٣٧٠ هـ (أغسطس وسبتمبر ١٩٥١ م) .

(٢) انظر تقرير إدارة المدرسة الصولتية المؤرخ في عام ١٣٨٢ هـ (محفوظ في مكتبة الوثائق التربوية بوزارة المعارف في الرياض) .

الهيئة ، الميقات ، الجبر والمقابلة ، المساحة ، الحساب ، الهندسة ، العروض والقوافي ، الصرف ، النحو ، الخط والاملاء(١) .

وكانت المقررات الدراسية في كل مرحلة من مراحل هذه المدرسة منذ عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) حتى عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) كالتالي :

أولا ـ القسم التحضيري :

يدرس في السنة الأولى الهجاء والقاعدة البغدادية وبعض السور الأولية ، وكتابة الأحرف وحفظ وكتابة الأعداد .

أما بقية السنوات فيدرس فيها :

١ ـ القرآن الكريم نظراً بأكمله ، وحفظ جزئي تبارك وعم غيباً .

٢ ـ التجويد وتمرين الطلاب على قراءة القرآن الكريم مرتلا .

٣ ـ الفقه : المسائل النفيسة ومتن أبي شجاع .

٤ ـ الحساب : القواعد الأربع مع حفظ الأعداد وكتابتها .

٥ ـ الاملاء .

٦ الخط .

٧ ـ حفظ أكبر قدر ممكن من الأدعية المأثورة في السنة الثانية والثالثة .

وقد أضيفت إلى ذلك في عام ١٣٣٠ هـ بعض الفنون كالمطالعة ومبادىء السيرة النبوية وتمرين طلاب السنة الثالثة على الخطابة .

---

(١) انظر صدى العلم من الحجاز ، ص ٥٠ .

ثانياً – القسم الابتدائي :

١ – القرآن الكريم نظرا .

٢ – الفقه : كتب متوسطة في المذاهب الأربعة (حاشية نور الايضاح والقدوري ، وشرح متن التحرير ورسالة الفقه) .

٣ – التجويد (في السنتين الأولى والثانية فقط) .

٤ – السيرة النبوية : في السنتين الأولى والثانية حفظاً . التاريخ : تاريخ الخلفاء الراشدين مفصلا في السنوات الثالثة والرابعة .

٥ – النحو : الاجرومية وكتب النحو المتداولة .

٦ – الصرف : الأمثلة ومتن البناء .

٧ – الإمــــلاء .

٨ – الخط : كراريس خط الرقعة .

٩ – الحساب : الكسور الاعتيادية والاعشارية .

١٠– مبادىء المنطق : كتاب ايساغوجي .

ثالثاً – القسم الثانوي :

١ – التفسير ، الجلالين بأكمله .

٢ – الحديث : مشكاة المصابيح وسنن الترمذي بأكملهما .

٣ – الفقه : الكتب العالية المعلومة كالوقاية والمنهاج .

٤ – أصول الفقه ، الكتب العالية المعلومة كالتمهيد ونور الأنوار والشاشي ، وشرح الورقات .

٥ – مصطلح الحديث ، نخبة الفكر .

٦ – الفرائض ، رسالة الأزهار حفظاً وشرح السراجية .

٧ – علم الكلام (العقائد) ، النسفي .

٨ – المنطق ، أربعة كتب مهمة كالقطبي وسلم الوصول وشرح قال .

٩ – الفلسفة الاسلامية ، الهدية السعيدية والميبذي .

١٠ – النحو ، الكافية أو شذور الذهب مع حفظ الألفية .

١١ – الصرف ، مراح الأرواح .

١٢ – البلاغة ، الجوهر المكنون والتلخيص .

١٣ – الفلك ، الثمرات والحضيني .

١٤ – الأدب ، المقامات للحريري .

١٥ – المناظرة ، الرشيدية .

١٦ – التاريخ ، تلخيص ابن هشام وتاريخ الخلفاء للسيوطي .

١٧ – الجبر والمقابلة ، الكمالات التوفيقية وكتاب الجبر للمرحلة المتوسطة .

رابعاً – قسم التكميل « القسم العالي » :

١ – التفسير ، البيضاوي بأكمله .

٢ – الحديث ، صحيح البخاري وصحيح مسلم .

٣ – الفقه ، الكتب النهائية كالهداية والمجلي (كل على مذهبه) .

٤ – أُصول الفقه ، الكتب النهائية كالتوضيح وجمع الجوامع .

٥ — اللغة العربية ، ديوان المتنبي والمعلقات السبع .

٦ — التاريخ ، مقدمة ابن خلدون(١) .

وقد أشارت إدارة المدرسة الصولتية في عام ١٣٣١ هـ إلى حرصها على ادخال المواد الحديثة في منهجها فقالت بأن « هيئة إدارة المدرسة وعمدتها تبذل غاية جهدها في ارتقاء شأنها وادخال الاصلاحات في نظام تدريسها لتكون هذه المدرسة في أم القرى معهداً علمياً راقياً يدرس فيها جميع العلوم والفنون التي تخول المتخرج منها أن يكون رجلا تام الأدوات علماً وأدباً . ويكون من الرجال الذين تحتاج إليهم هذه البلاد بعلم راسخ وحقائق راهنة ، متزوداً حسن الخلق ، متسلحاً بسلاح العلم والمعرفة . وقد أرادت هيئة إدارة المدرسة ادخال بعض العلوم الحديثة العصرية مع العلوم الموجودة الآن في نظام تدريسها ، واشجاع التلامذة على القاء الخطب والمحاضرات بالعربية ، وكل ما تقصده هيئة إدارة المدرسة يحصل إن شاء الله تعالى بالتدريج بحسن توفيقه ، وبمساعدة أرباب الهمم العالية ، وستظهر نتيجة أعمالها مكللة بالفوز والنجاح »(٢) .

ويبدو أن منهج المدرسة الصولتية كان يتأثر بمناهج المدارس الاسلامية في الهند ، إذ ذكر الشيخ بكر خوقير بأن مدير المدرسة الصولتية قد سافر إلى الهند في عام ١٣٣١ هـ من أجل « الوقوف على ما أدخل في نظام التعليم من الاصلاحات في المدارس الهندية خصوصاً ما قررته جمعية ندوة العلماء التي كنا نعلق عليها آمالا كبيرة(٣) » . كما أشار الأستاذ أحمد علي في حديثه عن

---

(١) تقرير إدارة المدرسة الصولتية السابق .

(٢) صدى العلم من الحجاز ، ص ٥٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧ .

هذه المدرسة إلى أن « الطابع الهندي يتغلب عليها لوجود أساتذة من علماء الهنـــد »(١) .

وقد وصف الشيخ عبد الرحمن الدهان المعلم الأول بالمدرسة طريقة امتحان من نجحوا في عام ١٣٣٠ هـ فقال : « وقد جرى في هذا العام صفة الامتحان على نمط الماضي من الأعوام من الامتحان التحريري على ما هو المعلوم عند علماء الهند الأفاضل الأعيان ، وجعل في كل كتاب خمسة أسئلة تدفع للطالب عند حضور مجلس الامتحان ، ويكتب عليها بما يفتح الله عليه بدون مراجعة الكتاب ولا الاخوان(٢) » .

وكانت المدرسة الصولتية تهتم بالامتحانات الشهرية ، كما أن نظامها كان يتسم بشيء من المرونة بالنسبة للفترة الزمنية التي ينبغي للطالب أن يتم فيها دراسته . وقد تحدث الشيخ بكر خوقير عن هذا الموضوع فقال : « وقد فصلنا أحوال المدرسة في السنين الماضية وبيّنا أن مدة الدراسة فيها عشر سنوات(٣) وقد يبرع النبيه في ثمانية . والفنون التي تدرس في هذه المدرسة وإن كانت كثيرة تبلغ نحو ٢٦ فناً ، إلا أنها موزعة على هذه السنوات ، وينبغي لها أن تراعي أميال الطلبة في الاقدام عليها والاعتناء بما تمس إليه الحاجة ، والاكتفاء بالمبادىء والكتب الصغيرة المقررة في المدارس الشهيرة ، وتنسيق النظام ووضع الدرجات وتكرير الامتحان وجعله شهرياً ، ولو أنها تخصص لأهل كل درجة شهوراً معينة »(٤) .

---

(١) تقرير عن ماضي التعليم بمكة المكرمة (محفوظ في مكتبة الوثائق التربوية بوزارة المعارف في الرياض) .

(٢) صدى العلم من الحجاز ، ص ٥ .

(٣) يبدو أن الشيخ خوقير لم يعد سنوات المرحلة التحضيرية الأربع ضمن المدة الدراسية التي تحدث عنها .

(٤) صدى العلم من الحجاز ، ص ١٧ .

وقد بلغ عدد الناجحين في مختلف المراحل الدراسية في الامتحان النهائي الذي عقد في شهر شوال ١٣٣٠ هـ مائة وأحد عشر طالباً . وكان عدد من يحق لهم دخول الامتحان ١٥٦ طالباً(١) . ويظهر أن المدرسة كانت آنذاك في تطور مستمر ، إذ أشار الشيخ بكر خوقير إلى أن عدد الناجحين في عام ١٣٣٠ هـ قد زاد عن ناجحي العام الذي سبقه بنحو الثلث(٢) .

وقد نشرت إدارة المدرسة الصولتية أسئلة الامتحان النهائي التي وجهت للطلاب في عام ١٣٣٠ هـ ، وحيث أن فيها ما يلقي الضوء على المستوى العلمي لهذه المدرسة ، ويبين طريقة امتحانها ، فاني سأورد فيما يلي بعض هذه الأسـئلة :

أولا – فن الحساب « خلاصة الحساب » :

١ – بيّنوا ضابط الأربعة المتناسبة وطريقها ، ولو قيل عدد زيد عليه ربعه وسدسه ونقص من المجتمع خمسه بلغ عشرة ، فما العدد ؟ بينوا كيفية استخراج المثال بالتفصيل .

٢ – بينوا ضابط الخطأين وطريقه ، وبينوا كيفية استخراج السؤال المتقدم بطريقة الخطأين .

٣ – بينوا تعريف المساحة وموضوعها وغايتها .

٤ – بينوا تعريف الخط وأسمائه العشرة المشهورة والسطح والجسم .

٥ – بينوا تعريف المربع وأقسامه وقاعدة مساحة كل منهما .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣ و ٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧ .

ثانياً – فن الهيئة « كتاب التصريح شرح التشريح » :

١ – بينوا تعريف الدائرة وأنها تطلق على كم معنى ، وكم أقسامه ، وكم المشهورة منها ، وهل المشهورة كلها عظام أم بعضها وما خرج بالمشهورة .

٢ – ما دائرة معدل النهار ، وما المراد بالعالم في قوله : وقطباها قطبا العالم ، ومتى يكون الاعتدال حساً وحقيقة ، ومتى يكون حساً لا حقيقة ، وهل خط الاستواء مستقيم أو منحني ؟ .

٣ – ما دائرة منطقة البروج ، وما النقاط الأربع التي هي نقط الربيع والخريف والصيف والشتاء ، وهل هذه النقط شخصية أم نوعية ؟ .

٤ – ما الفرق بين الميل الأول والثاني ، وما المراد بالبروج الاثنى عشر ، وهل هي حصص التاسع أو الثامن ، وما وجه تسميتها بالأسماء المخصوصة ؟ بينوه مفصلا .

٥ – ما دائرة الأفق ، وتطلق على كم دائرة ، وما المراد منها ، وكم من الدوائر لم يعتبر في مفهومها السفليات ، وكم منها معتبر في مفهومها ؟ .

ثالثاً – فن المناظرة « كتاب الرشيدية » :

١ – ما معنى البحث لغة واصطلاحاً ، وأي معنى من المعاني مراد هاهنا ؟

٢ – ما معنى المناظرة لغة واصطلاحاً ، وما وجه المناسبة ، وما السؤالان الواردان على تعريف المناظرة ، وما جوابهما ؟ .

٣ – بينوا الفرق بين النقل والاقتباس والمقتبس مدعى في اصطلاحهم أم لا ، بينوه بياناً شافياً .

٤ – ما حد المدعي ، ولم لا يصدق هذا التعريف على الناقض بالنقض الإجمالي والمعارض ، ولم قيد بالاجمالي ؟ .

٥ – كم نوعاً للتعريف ؟ .

رابعاً – فن النحو « الألفية » :

١ – ما الاضافة لغة واصطلاحاً ، وما حكم المضاف إليه ، وما الأقوال في عامله ، وما التحقيق فيه ؟ .

٢ – كم أقسام الاضافة ، وما حكم الأقسام ، وهل الاضافة على معنى جميع الحروف أو بعضها ، وما ضابط ذلك ؟ .

٣ – كم قسماً ينقسم الاسم باعتبار الاضافة ، فصلوا تفصيلا شافياً وبينوا بياناً وافياً فتح الله عليكم .

٤ – ما معنى هذين البيتين :

وابن أو اعرب ما كإذ قد أجريا ... واختر بنا متلوّ فعل بنيا

وقبل فعل معرب أو مبتدأ ... أعرب ومن بنى فلن يفندا

٥ – ما حكم المضاف إلى ياء المتكلم ، بينوه مفصلا(١) .

ويظهر أن الشهادة النهائية للمدرسة الصولتية كانت تؤهل صاحبها لتولي التدريس في الحرم المكي ، ذلك لأن طلاب هذه المدرسة كانوا – كما قال

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٨ – ٤٢ .

عمر عبد الجبار – يمارسون التدريس في المسجد الحرام إثر تخرجهم فيها(١) . كما تحدث الأستاذ أحمد علي عن المدرسة الصولتية في هذه الفترة وقال بأنها كانت « تعتبر ارقى مدرسة ، والمتخرج من صفوفها العالية يعتبر عالما » ، وقال بأن البارزين من خريجي هذه المدرسة كانوا يقومون بالتدريس في المسجد الحـــــرام(٢) .

كانت المدرسة الصولتية تقوم بالتدريس مجاناً ، ولكنها كانت تعاني من قلة الموارد المالية . وقد شكت إدارة المدرسة في عام ١٣٣١ هـ من أن واردات المدرسة لم تكن تكفى نفقاتها(٣) . وكان المسؤولون عن المدرسة الصولتية حريصين على جمع التبرعات والاشادة بالمتبرعين والتنويه بهم . وحيث أن المدرسة كانت تعتمد أساساً على المساعدات الخيرية التي يجود بها مسلمو الهند ، فقد سافر مدير المدرسة في عام ١٣٣١ هـ إلى الهند ... في خدمة هذه المدرسة في تحصيل ما لها من العادات عند الأمراء والسادات »(٤) . وقد أشاد بكر خوقير بفضل مسلمي الهند على المدرسة وقيامهم بعمارة مبانيها ، وقال بأن احتفال المدرسة بالناجحين في امتحان عام ١٣٣٠ هـ قد تم في العمارة الجديدة التي صرف عليها مسلمو الهند ثمانية عشر ألف روبية(٥) . وحين زار محمد لبيب البتنوني مكة المكرمة في عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) أشار إلى ما كانت تتعرض له هذه المدرسة من مصاعب مالية ، وقال بأنها قد « أخذت في الانحطاط » بسبب عدم ثبات التبرعات ودوامها(٦) .

---

(١) كتابه السابق ، ص ١٧ .
(٢) تقريره السابق .
(٣) صدى العلم من الحجاز ، ص ١ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٧ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٧ .
(٦) كتـــابه السابق ، ص ٥٩ .

المدرســة الفخرية :

يبدو أن ما لقيته المدرسة الصولتية إبان نشأتها من اقبال وتقدير قد شجع الشيخ عبد الحق قاري أحد أساتذتها السابقين على أن يؤسس في عام ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ م) مدرسة أخرى على غرارها . وقد سمّاها المدرسة الفخرية ، وكانت تشبه المدرسة الصولتية كذلك من حيث اعتمادها على المساعدات الخيرية التي كان يقدمها مسلمو الهند .

وقد أشار الأستاذ أحمد إبراهيم الغزاوي إلى أن المدرسة الفخرية كانت موجودة في عام ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) وأنها كانت « ذات نظام وتنظيم ونهج عصري قويم ، وكانت غاصة بالطلاب »(١) . وحين تحدث الأستاذ أحمد علي عن هذه المدرسة في هذه الفترة قال بأن « أكثر اهتمامها بالقرآن والتجويد والقراءات مع العلوم الأساسية كالحساب والاملاء والانشاء »(٢) .

المدرســة الخيرية :

وجدت في ولاية الحجاز حينئذ حركة لإنشاء المدارس الدينية العربية ، ففي عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) أسس الشيخ محمد حسين الخياط المدرســة الخيرية بمكة المكرمة . وقد أوضح الشيخ حسين بن عبد الله باسلامه مساعد إدارة المدرسة بأنه كان لمؤسس هذه المدرسة عدة أهداف « منها نشر العلوم الدينية على حقيقتها ، وإظهار مزايا هذا الدين الحنيف في مرايا الناشئة بتربيتهم على آدابه وحكمه الروحانية الفاضلة حتى يكونوا مثالا صحيحاً بظهورهم في مظهره العالي ومقامه الغالي . فيتحكك بهم اخواننا المسلمون الواردون إلى مكة

(١) مقالته السابقة .
(٢) تقريره السابق .

المكرمة فيصدرون وقد تكهربوا بكهربائه فيكهربون أهل بلادهم حتى يصطبغوا بتلك الصبغة ، وبذلك يكون الوصول إلى اصلاح اخواننا المسلمين أجمعين وارتباطهم برابطة الدين التي يكونون بها كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد ، وهذه أعظم وسيلة لذلك تغني عن ارسال جماهير عظيمة إلى تلك البلدان الكثيرة ... ومنها أن تصبح أُم القرى في نظر العالم الاسلامي الآن كمنظرها الأول »(١) .

وكانت المدرسة الخيرية تدرس : العقائد والفقه والتربية والأخلاق والنحو والصرف وحسن الخط والانشاء والرسم والجغرافيا والتاريخ والأدب واللغة التركية والنحو التركي والاملاء التركي ومسك الدفاتر والهندسة والحساب والجبر والميقات والتجويد وفن المنطق والمساحة والمعاني والبيان وحفظ الصحة(٢) وقد أشار محمد لبيب البتنوني الذي زار مكة في عام ١٣٢٧ هـ إلى هذه المدرسة وقال بأنها تدرس من العلوم مثل ما تدرسه المدرسة الصولتية ولكن « بتوسعة »(٣)

وقد بلغ عدد تلاميذ المدرسة الخيرية في عام ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) نحو ثلاثمائة . وكانت الدراسة فيها مجاناً(٤) . كما أنها كانت تلقى العون والتشجيع من أولي الأمر في مكة المكرمة(٥) .

ويبدو أن طريقة التدريس في المدرسة الخيرية قد تأثرت بشخصية مؤسسها

---

(١) ثمرة العلم بأم القرى بنجاح تلامذة المدرسة الخيرية ، ص ٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣ ، ٢٣ .

(٣) كتابه السابق ، ٥٩ .

(٤) حسين بن عبد الله باسلامه ، ثمرة العلم بأم القرى ، ص ٣ .

(٥) انظر محمد لبيب البتنوني ، كتابه السابق ، ص ٥٩ . وبكر شرف « ذكرياتي عن مدرسة الخياط بمكة » ، مجلة المنهل ، عدد ١١ و ١٢ (ذو القعدة والحجة عام ١٣٦٦ هـ – أكتوبر ونوفمبر ١٩٤٧ م) .

الذي كان – كما قال عنه بكر شرف أحد تلاميذ القسم الابتدائي بهذه المدرسة في عام ١٣٢٧ هـ – « ... من العلماء الأفذاذ المبرزين ، وهو بحق كان وحيد زمانه ، فقد أحاط بأكثر الفنون علماً ، وكان في طليعة جيله كياسة وتبصرة ، وله مؤلفات جمة في علم الفلك وغيره ، وهو أول معلم في الحجاز حذق التدريس التطبيقي الذي يصل بتلاميذه إلى النتيجة المطلوبة ، فكان لا يسير على طريقة تلاوة المتون والشروح والحواشي ثم التعليق عليها بنفس ما في تلك الشروح والحواشي من تعبير ، ولكنه كان يعمد إلى تلقين تلاميذه ما يدرسونه تلقينا تصويرياً معززاً بالأمثلة والروايات ، فلا ينتهي التلميذ من درسه حتى يكون ما سمعه من الأستاذ قد رسخ في ذهنه إذ أنه كان يستمع إليه بكل حواسه لما يجد فيه من طلاوة وعذوبة . وهكذا كان رحمه الله مجدداً في طريقة التدريس ، وهو بحق أول من أدخل هذه الطريقة القيمة إلى مدارس الحجاز »(١) .

وقد تطورت المدرسة الخيرية في زمن وجيز ، إذ وجدت فيها في عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٥ م) مرحلة نهائية ، وكان عدد طلاب الصف النهائي في هذه السنة سبعة . ويظهر أن مستوى هذه المرحلة في العلوم الدينية والعربية كان عالياً ، ذلك لأن هؤلاء الطلاب السبعة قد تقدموا في عام ١٣٣٣ هـ لامتحان عقدته لهم لجنة من « جلة العلماء والمدرسين» لكي يصبحوا « ضمن عداد العلماء المرخص لهم بالتدريس في المسجد الحرام » ، ولكن ما إن بدأ الامتحان حتى حدث جدل بين مدير المدرسة محمد غزالي بن محمد حسين الخياط ، وبعض أعضاء لجنة الامتحان ، فأُجل الامتحان إلى العام التالي عام ١٣٣٤ هـ حيث استعد هؤلاء الطلاب لدخول الامتحان ، ولكن القتال الذي نشب حينئذ بين الشريف حسين والحكومة التركية قد قضى على هذه المحاولة(٢) .

---

(١) مقالته السابقة .

(٢) المصدر نفسه .

مدرستا الفـــلاح :

لعل أهم حدث تعليمي شهدته ولاية الحجاز في مطلع القرن العشرين هو افتتاح مدرستي الفلاح اللتين أنشأهما المرحوم محمد علي زينل في مكة وجدة ، ذلك لأنه قد تخرج في هاتين المدرستين عدد من رجال الأدب والفكر الذين ساهموا في النهضة الفكرية التي عمت البلاد في أوائل العهد السعودي . وقد أُسست مدرسة الفلاح بجده في ٩ شوال ١٣٢٣ هـ (٧ ديسمبر ١٩٠٥ م) أما مدرسة الفلاح بمكة المكرمة فقد أُنشئت بعد ذلك بحوالي سبع سنوات في عام ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) .

وقد أُسست مدرستا الفلاح لرفع « مستوى طلاب العلوم الدينية والدنيوية، وتعليمهم العلوم العالية التي تجعلهم معالم يهتدى بهم الناس[١] » . وحينما أراد محمد علي زينل إنشاء مدرسة الفلاح بمكة عمد إلى كتاب الشيخ عبد الله حمدوه الذي كان يعتبر أحسن كتاتيب مكة فجعله نواة لمدرسة الفلاح ، وقد أصبح الشيخ محمد حامد مديراً للمدرسة كما تولى التدريس فيها حينئذ الشيخ حسن سناري والشيخ الطيب المراكشي والشيخ عبد الله حمدوه والشيخ أحمد جمال والشيخ إبراهيم وهبي[٢] . وقد بلغ عدد تلاميذ هذه المدرسة إبان نشأتها مائتي تلميذ ونيفاً[٣] . ثم ما لبثت قليلا حتى ازداد الاقبال عليها واكتظت بالطلاب[٤] .

---

(١) انظر مقالة « النهضة العلمية » ، جريدة الفلاح ، عدد ٢٤ (١٣٣٩/٥/٢١ هـ – ١٩٢١/١/٣٠ م) .

(٢) عمر عبد الجبار ، كتابه السابق ، ص ١٥٨ .

(٣) عبد الله عريف ، « مع الحاج محمد علي زينل » ، مجلة المنهل ، عدد ١٢ (ذو الحجة ١٣٨٨ هـ – مارس ١٩٦٩ م) .

(٤) عمر عبد الجبار ، كتابه السابق ، ص ١٥٨ . وعبد الله عريف ، مقالته السابقة .

وكانت الدراسة في مدرسة الفلاح تتكون منذ عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) حتى عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م) من ثلاث مراحل : المرحلة التحضيرية ومدتها ثلاث سنوات ، والمرحلة الابتدائية ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات ، والمرحلة الرشدية ومدتها ثلاث سنوات . وكانت المواد والمقررات التي تدرس حينئذ في كل مرحلة من هذه المراحل كالتالي :

أولا – المرحلة التحضيرية :

الهجاء ، القرآن الكريم جميعه نظرا ، حفظ جزء عم ، الاملاء ، الخط ، الحساب « الأعداد والقواعد الأربع » .

ثانياً – المرحلة الابتدائية :

١ – القرآن الكريم مجودا نظرا . حفظ ثلاثة أجزاء تبدأ بسورة المجادلة .

٢ – التوحيـــد .

٣ – الفقه : جميع أبوابه كل على مذهبه في متون أبي شجاع والاسقاطي والرسالة ودليل الطالب .

٤ – الحديث : الجزء الأول من كتاب الترغيب والترهيب ، « مختصر من المنذري » خاص بالعبادات والأخلاق .

٥ – التجويد : كتاب مفتاح التجويد جميعه .

٦ – السيرة النبوية : مختصر جامع فيها .

٧ – النحو : ثلاثة أجزاء من كتاب الدروس النحوية لنخبة من الأزهريين .

٨ – الصرف : كتاب الأمثلة المختلفة .

٩ – الاملاء : جميع القواعد الاملائية .

١٠ – الخط : الرقعة والنسخ .

١١ ـ الحساب : الأعداد والقواعد الأربع ، والكسور بأنواعها من كتاب الدرر البهية ، الجزء الأول .

ثالثاً ـ المرحلة الرشدية :

١ ـ التفسير : عشرون جزءاً من تفسير الجلالين .

٢ ـ الحديث : الجزء الثاني من كتاب الترغيب والترهيب ، « مختصر من كتاب المنذري » خاص بالمعاملات ، والأربعين النووية .

٣ ـ التوحيـــد .

٤ ـ الفقه : كل على مذهبه في شروح المتون السابقة .

٥ ـ السيرة النبوية : كتاب نور اليقين .

٦ ـ النحو : الجزء الرابع من كتاب الدروس النحوية لنخبة من الأزهريين ، وأحياناً متن الألفية .

٧ ـ الصرف : متن البناء والعزي .

٨ ـ البلاغة : كتاب البلاغة لنخبة من الأزهريين وشرح الجوهر المكنون .

٩ ـ الانشاء والمحفوظات : موضوعات مختلفة وحفظ طائفة من أشعار المتقدمين كالمعلقات وسواها .

١٠ ـ التاريخ : التاريخ الإسلامي لمحي الدين الخياط ، خمسة أجزاء .

١١ ـ الجغرافيا : جزيرة العرب والقارات الخمس ، مذكرات وافية .

١٢ ـ الحساب : الدرر البهية لإدريس بك ، الجزء الثاني .

١٣ ـ مسك الدفاتر : جميع الدفاتر المتنوعة اللازمة لتبسيط الحسابات[١] .

---

(١) تقرير رسمي عن مدرستي الفلاح ، محفوظ في مكتبة الوثائق التربوية بوزارة المعارف في الرياض .

وقد نمت مدرسة الفلاح بجدة أولى المدرستين نموا سريعاً ، فقد كان عدد طلاب القسم الابتدائي أربعة وعشرين في عام ١٣٢٣ هـ ولكنه بلغ ثلاثمائة في عام ١٣٣٤ هـ . وفيما يلي احصائية عن هذا القسم منذ افتتاحه حتى عام ١٣٣٤ هـ(١) :

العام	عدد الفصول	عدد الطلاب	عدد المدرسين	الهيئة الإدارية
١٣٢٣	٢	٢٤	٣	١
١٣٢٤	٢	١٠١	٤	١
١٣٢٥	٤	١٧١	٦	١
١٣٢٦	٤	١٧٣	٦	١
١٣٢٧	٤	١٦٦	٦	١
١٣٢٨	٤	١٤٩	٧	١
١٣٢٩	٤	١٦٢	٨	١
١٣٣٠	٤	١٦٢	٨	١
١٣٣١	٤	٢٠٦	٩	٢
١٣٣٢	٤	٢٠٢	١١	٢
١٣٣٣	٤	٢٦٥	١٤	٢
١٣٣٤	٤	٣٠٠	١٨	٢

ويبدو أن مشروع الشيخ محمد علي زينل في تأسيس مدرستي الفلاح قد لقي العون والتعضيد من بعض ذوي اليسار ، فقد ذكر الشيخ محمد حسين نصيف في حديثه عن مدرسة الفلاح بجدة أن تجار جدة قد أمدوا هذه المدرسة بالتبرعات ، ووقفوا عليها الأوقاف ، وأنهم ساهموا في تشييد مبناها ، كما ذكر

(١) عبد الله بوقس ، الدليل العام عن تطور التعليم ونهضته بمنطقة جده ، (١٣٨١-١٣٨٢ هـ) ص ١٦ .

بأن الشيخ زينل قد جمع تبرعات من الهند ليستعين بها على توسيع بناء المدرسة(١).
ولم تكن الدراسة في هذه المدرسة مجاناً ، إذ أشار الشيخ نصيف إلى أن « الطلبة الذين ينتظمون فيها بجدة يدفعون لها مشاهرة كل بقدر استطاعته أو استطاعة وليه »(٢) .

وقد حرص مؤسس مدرستي الفلاح على أن يضع لهاتين المدرستين نظاماً أساسياً يحدد أهدافهما ، ويبين بعض القواعد التي تنظم شؤونهما المالية . ومما جاء في هذا النظام :

١ ـ لا يصرف مال مدارس الفلاح إلا في سبيل التعليم .

٢ ـ ينبغي أن يصرف على مجموع العلوم الدينية أكثر من الدنيوية .

٣ ـ لا يجوز أن يصرف إلا في الحجاز ولو كان من غير الحجازيين .

٤ ـ إذا كان العلم المطلوب نيله خارج الحجاز أسهل ، فينبغي أن يكون المعـلّم مولود الحجاز أو قد سكنه ثلاث سنوات متواليات أو درس مثلها في مدرسة الفلاح .

٥ ـ يجوز للجنة أن تتولى نظام مدارس أُخرى في غير الحجاز من جزيرة العرب بشرط أن يكون الحساب المالي لتلك المدارس مستقلا ، وأن تدفع لإدارة الفلاح العامة مقدار ما تتكبدهمن المصاريف بسببها أو زيادة(٣) .

---

(١) « مدرسة الفلاح بجده وكيف تأسست » ، مجلة المنهل ، عدد ١١ و ١٢ (ذو القعدة وذو الحجة عام ١٣٦٥ هـ ـ أكتوبر ونوفمبر ١٩٤٦ م) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) جريدة الفلاح ، عدد ٢٤ (١٣٣٩/٥/٢١ هـ) .



الفصل الثاني

التعليم في المدينة المنورة



المسجـــد النبـــوي

مواد الدراسة وأسماء المدرسين :

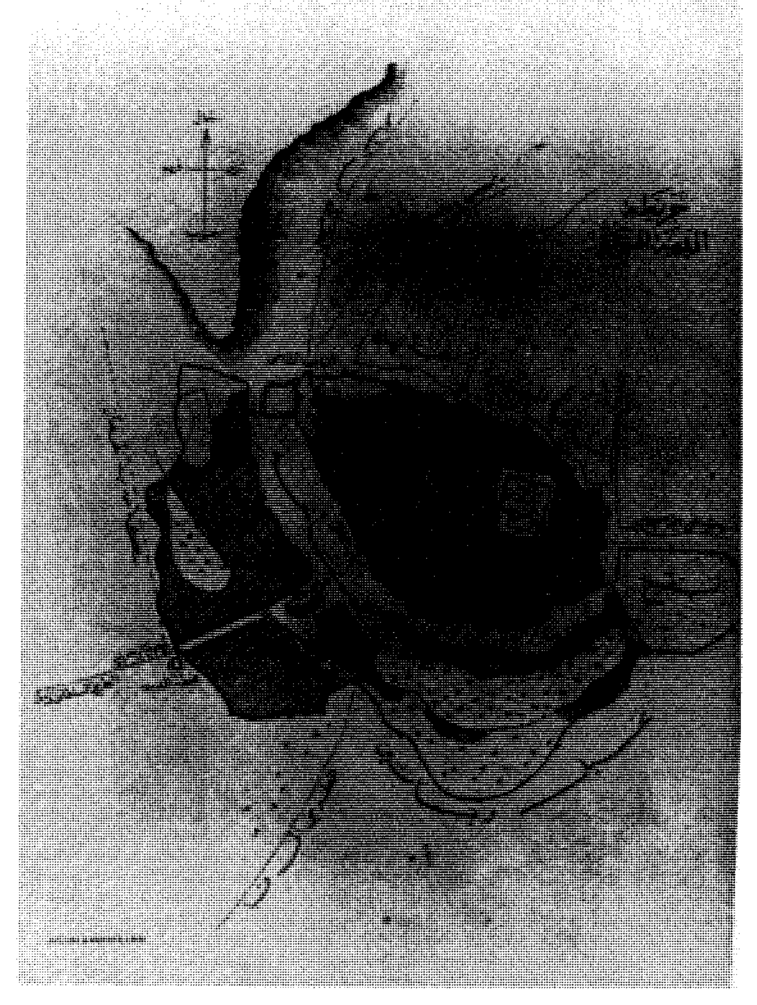
لم يكن التعليم في المدينة المنورة يختلف كثيراً من حيث المنهج والنوع عما كان موجوداً بمكة المكرمة في هذه الفترة . وكان المسجد النبوي الذي كانت الدراسة فيه أعلى مرحلة من مراحل التعليم الديني والعربي في المدينة حافلا بالنشاط العلمي ، وكان يشبه الحرم المكي من حيث طريقة التدريس واختيار المواد الدراسية . فقد كانت تدرس فيه « العلوم الدينية الاسلامية والعربية والتاريخ والتراجم والفلك والرياضيات والمنطق والفلسفة والفرائض »(١) .

وقد جاء في العدد الأول من التقويم الرسمي لولاية الحجاز « سالنامة ولاية الحجاز » الذي صدر في عام ١٣٠١ هـ (١٨٨٣ – ١٨٨٤ م) أنه كان في المسجد النبوي حينئذ ثمانية عشر مدرساً عينوا لتدريس المذاهب الثلاثة(٢) .

وقد أورد الأستاذ جعفر فقيه بياناً بأسماء علماء المدينة المنورة والمدرسين في المسجد النبوي في هذه الفترة وهم : محمد مدني ومحمد أسعد ومأمون بري وإبراهيم بري وماجد بري وعمر بري وأبو بكر داغستاني وأبو بكر جاد وأحمد كماخي وأحمد بساطي وحمزة بساطي وملا سفر والشيخ خليل والخربوطي وخليل ميرحلي وحبيب الرحمن وخير الدين الياس وتاج الدين الياس وعبد الرحمن الياس ومحمد علي أعظم حسين وعبد الحق رفعت علي

---

(١) علي حافظ ، فصول من تاريخ المدينة المنورة ، ص ٢١٩ .
(٢) ص ١٥١ .



خريطة المدينة المنورة كما رسمها البتنوني في عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) .

والشيخ زاهد وعلوي سقاف وعلوي بافقيه وأحمد برزنجي وتركي برزنجي ومحمد جمل الليل ومحمد العايش وعبد الحي أبو خضير وعبد الفتاح أبو خضير وعبد الوهاب أبو خضير وعبد الباري رضوان وعبد المحسن رضوان وعبد الله رضوان وأحمد الخياري ومحمد الهجرس وعمر كردي شهر زوري وعبد الحفيظ كردي شهرزوري وعلي كردي شهر زوري وخليل أغا ومحمد كمل ومحمد صقر وأحمد صقر وأحمد مرشد ومحمد العربي والشيخ الخضر وحبيب الله الخضر وحمدان الونيس وحمدان المحرس وجعفر الكتاني ومكي الكتاني ومحمد الوزير التونسي ومحمد الكافي والشيخ حميده والفا هاشم وسعيد الكردي ومحمد الأخميمي ومحمد العمر ومحمد البسكتي ومحمد الساسي والحبيب المغـــربي(١) .

وكان هؤلاء العلماء « يلقون الدروس المختلفة من التفسير والقراءات والحديث والفقه والأصول والصرف والنحو والبلاغة(٢) » ، إلا أن هذه الدروس كانت — في نظر الأستاذ عبد الحق نقشبندي — « بغير نظام مدون أو إدارة مسؤولة أو مراقبة أو اختبارات منظمة ، وكان الكثير من العامة يشترك في الدروس للاستماع والتبرك فقط ، لذا لم تأت بالثمار المرجوة ، حيث كان الطلاب يعدون بالألوف وأكثرهم من المجاورين سكان الأربطة والمدارس »(٣) .

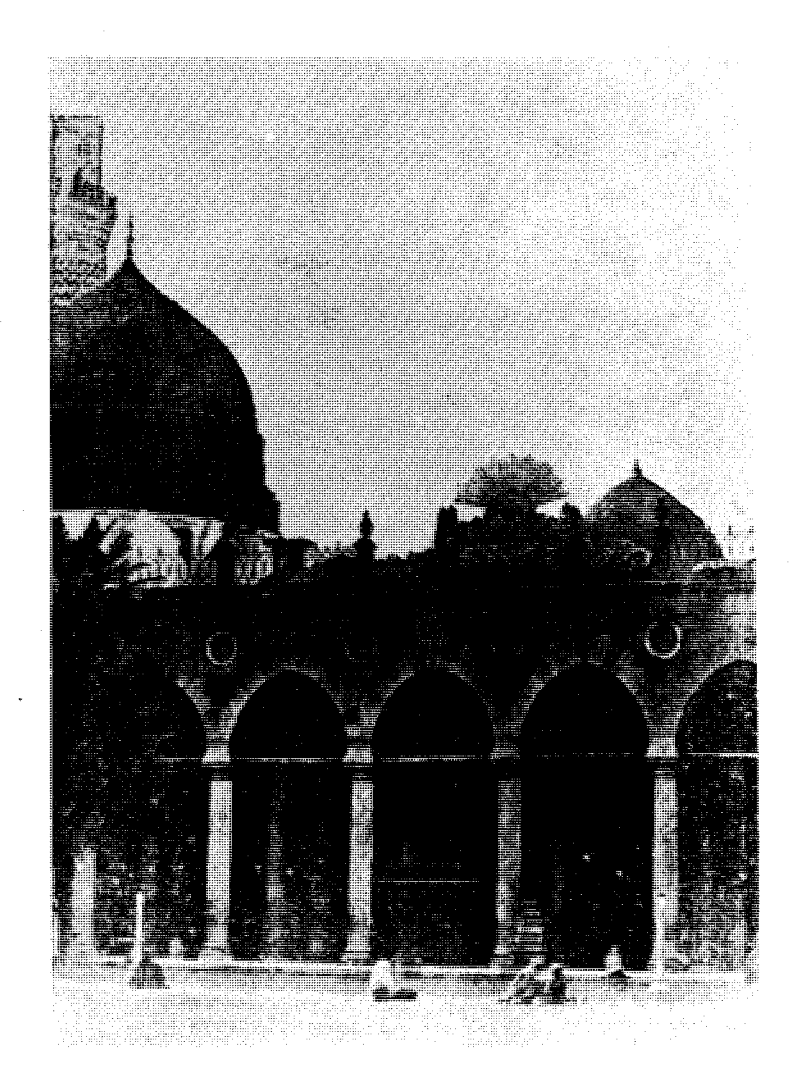
وقد تحدث الأستاذ عثمان حافظ عن الدراسة في المسجد النبوي وقال

---

(١) تقرير عن ماضي التعليم في المدينة المنورة ، مؤرخ في ١٣٨٩/١١/١٤ هـ (محفوظ في مكتبة الوثائق التربوية بوزارة المعارف في الرياض) .

(٢) عبد الحق نقشبندي ، « من ذاكرتي قبل نصف قرن » ، مجلة المنهل ، عدد ٥ (جمادى الأولى عام ١٣٨٢ هـ — أكتوبر ١٩٦٢ م) .

(٣) المصدر نفسه .



المسجد النبوي من الخارج كما صوره محمد باشا صادق في عام ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠ م) .

بأنه إذا ما أراد الطلاب المتخرجون في الكتاتيب والمدارس الدينية اكمال دراستهم فانهم يتجهون إلى المسجد النبوي حيث كانت « حلقات الدروس عامرة بالطلاب من طلبة العلم ومن أصحاب الأعمال ، بعضهم يدرس علوماً معينة ، وبعضهم يحضر الوعظ والارشاد والفقه والتوحيد . إلا أن الدراسة لم تكن منظمة تنظيماً دقيقاً أو ملزماً ، فكل طالب موكول لرغبته وجهده في الدراسة يدرس العلم الذي يريده ، ويحضر الدرس الذي يريده ، ولا توجد اختبارات للطلاب ، غير أن المدرس إذا آنس من الطالب الكفاءة في التدريس يعطيه شهادة خاصة بصلاحيته للتدريس وبالعلوم التي درسها عليه »(١) .

◇◇◇◇◇◇

(١) تقرير عن ماضي التعليم في المدينة المنورة (محفوظ في مكتبة الوثائق التربوية بوزارة المعارف في الرياض) .



المسجد النبوي من الداخل كما صوره إبراهيم رفعت في عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م)
ونشر في كتابه : مرآة الحرمين .

التعـــليم الحكومي والأهلي

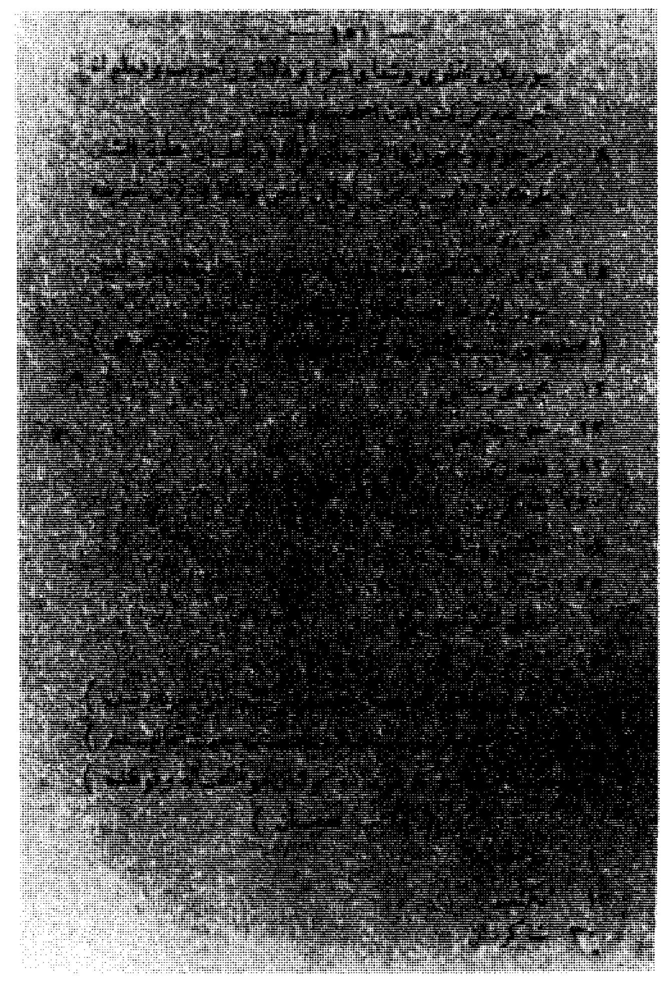
أول إحصاء رسمي للتعليم في المدينة :

وقد وجدت إلى جانب المسجد النبوي عدة مدارس حكومية وأهلية تشبه تلك المدارس التي أُنشئت في مكة المكرمة . وربما كان أول احصاء رسمي للتعليم في المدينة المنورة هو ما نشر في التقويم الرسمي لولاية الحجاز « سالنامة ولاية الحجاز » فيما بين عامي ١٣٠١ و ١٣٠٩هـ ، وسأورد فيما يلي خلاصة احصائية للتعليم في المدينة المنورة مستقاة من الأعداد الخمسة لسالنامة ولاية الحجـــاز :

أولا – الكتاتيب المجيدية(١) :

عــام	عددالكتاتيب	عدد المدرسين	عدد العرفاء	عدد التلاميذ
١٣٠١	١٣	١٢	١٢	٢٥٠
١٣٠٣	١٣	١٢	١٢	٢٥٠
١٣٠٥	١٣	١٢	١٢	٣٦٠
١٣٠٦	١٣	١٢	١٢	٣٦٠
١٣٠٩	١٣	١٢	١٢	٣٦٠

(١) سميت بالمجيدية نسبة إلى السلطان عبد المجيد خان . وقد ضم إلى هذا الاحصاء كتاب السلطان محمود خان الذي لم تذكر السالنامه عدد مدرسيه وعرفائه .



أول إحصاء رسمي لكتاتيب المدينة المنورة ومدرستها الرشدية كما نشر في سالنامة ولاية الحجاز عام ١٣٠١ هـ .

ثانياً – المدارس الدينية الأولية :

عـــام	عدد المدارس
١٣٠٥	١٧
١٣٠٦	١٧
١٣٠٩	١٧

ثالثاً – المدرسة الرشدية[١] :

عـــام	عددالمدرسين	عددالتلاميذ
١٣٠١	—	٢٥
١٣٠٣	٣	٢٥
١٣٠٥	٣	٥٥
١٣٠٦	٤	٥٥
١٣٠٩	٤	٥٥

رابعاً – تعليم الخط :

عـــام	عددالمدرسين	عددالتلاميذ
١٣٠١	١	٤٥
١٣٠٣	١	٤٥
١٣٠٥	١	—
١٣٠٦	١	—
١٣٠٩	١	—

(١) يقع في هذه الاحصاءات أحياناً شيء من الاختلاف أو عدم التنسيق ، وذلك كما حدث بالنسبة للمدرسة الرشدية في المدينة حيث ذكر في سالنامة عام ١٣٠٦ هـ (ص ٢٣٧) أن عدد تلاميذ المدرسة الرشدية ٤٧ ، ثم ذكر بعده في نفس العدد (ص ٣٠٦) أن عددهم ٥٥ .

الكتـــاتيب :

لم تذكر « سالنامة ولاية الحجاز » من كتاتيب المدينة المنورة ــ كما أُشير إلى ذلك من قبل ــ إلا الكتاتيب التي أنشأها السلطانان عبد المجيد ومحمود ، ولكن الشيخ علي بن موسى إمام المالكية بالمسجد النبوي قد ذكر حينما وصف المدينة المنورة في عام ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) بأنه كان فيها حينئذ أربعة وعشرون كتّاباً خصص واحد منها لتعليم اللغة الفارسية(١) .

وعندما تحدث الأستاذ جعفر فقيه عن التعليم في المدينة المنورة في بداية القرن العشرين ذكر بأنه كان في المدينة حينئذ أربعة عشر كتاباً ، ستة منها في المسجد النبوي وهي :

١ ــ كتاب الشيخ مصطفى بن أحمد فقيه ، وقد بدأ التعليم فيه عام ١٢٧٣ هـ ثم خلفه أخوه إبراهيم .

٢ ــ كتاب الشيخ مصطفى الزهار ، وقد بدأ التعليم فيه عام ١٣٠٠ هـ ثم تولاه الشيخ محمد التابعي ثم الشيخ عبد الفتاح أبو خضير .

٣ ــ كتاب الشيخ إبراهيم الطرودي ، وقد بدأ التعليم فيه عام ١٣٠٠ هـ .

٤ ــ كتاب الشيخ بشير المغربي ، وقد بدأ التعليم فيه عام ١٣٠٠ هـ .

٥ ــ كتاب الشيخ أحمد .

٦ ــ كتاب الشيخ عبيد السناري والشيخ الحافظ حمدي أفندي الذي كان يُعَلِّم الخط واللغتين التركية والفارسية .

وكان شيخ كل كتاب من هذه الكتاتيب يتقاضى معاشاً من الخزينة النبوية مقداره مائتا قرش عثماني ، أما العريف فيتقاضى مائة قرش عثماني .

---

(١) وصف المدينة المنورة في سنة ١٣٠٣ هـ ، ص ٤٩ ــ ٥٠ .

وكانت هناك ثمانية كتاتيب خارج المسجد النبوي هي :

١ ـ كتاب الشيخ عبد القادر بشر في العنبرية .

٢ ـ كتاب الشيخ حامد شيخ في المرادية بالسيح .

٣ ـ كتاب الشيخ محمد الغاطي في المناخه .

٤ ـ كتاب الشيخ عبد القادر الشامي في مسجد علي بن أبي طالب .

٥ ـ كتاب الشريف المغربي في المسحرية .

٦ ـ كتاب الشيخ جلال الياس في مسجد السبق .

٧ ـ كتاب الشيخ محمد خليل في قباء .

٨ ـ كتاب الشيخ اسحاق التركي في القبلتين(١) .

وقد تحدث الأستاذ عثمان حافظ عن التعليم في كتاتيب المدينة في هذه الفترة فقال بأنه « كان يختص بفك الحرف ثم التدرج في حفظ القرآن الكريم ابتداء من السور الصغرى » . وأضاف بأن التعليم في الكتاتيب التي تقع في قرى المدينة وضواحيها كان « على نطاق مبسط جداً ، لا يتجاوز في الغالب الفاتحة وسورة الصلاة(٢) » .

المدارس الحكومية والأهلية :

ورد في العدد الأول من « سالنامة ولاية الحجاز » الذي صدر في عام ١٣٠١ هـ بيان بأسماء بعض المدارس الدينية في المدينة ومدرسيها ، وقد جاء فيه ما يلي :

١ ـ المدرسة الجليلة ومدرسها عمر لطفي أفندي .

---

(١) تقريره السابق .
(٢) تقريره السابق .

٢ ـ المدرسة الحميدية ومدرسها محمد سعيد توفيق أفندي .

٣ ـ مدرسة بشير أغا ومدرسها الأفندي عمرو أحمد زاهد .

٤ ـ مدرسة الشفا ومدرسها محمد على أفندي الاق شهري .

٥ ـ مدرسة قره باش ومدرسها محمد صالح أفندي الانقروي .

٦ ـ مدرسة ساقزي ومدرسها عصمت أفندي الاستانه لي .

٧ ـ المدرسة الاحسانية ومدرسها عثمان أفندى الوديني .

٨ ـ مدرسة حسين أغا ومدرسها أحمد أفندي البوزغاتي .

٩ ـ مدرسة أمين أفندي ومدرسها أحمد أفندي الجاللي .

١٠ـ مدرسة ثروت أفندي ومدرسها أحمد أفندي .

١١ـ مدرسة كبلي ومدرسها خليل أفندي الحربوتي .

١٢ـ مدرسة أوزبك ومدرسها أخونجان أفندي البخاري(١) .

وقد أشار محمد صادق الذي زار المدينة المنورة في عام ١٣٠٢ هـ إلى أن في المدينة سبع عشرة مدرسة(٢) . وحينما وصف الشيخ علي بن موسى المدينة المنورة في عام ١٣٠٣ هـ ذكر أسماء إحدى عشرة مدرسة من المدارس الدينية بالمدينة المنورة التي قال عنها بأنها : « كثيرة وأشهرها وأنظمها مدرسة المحمودية(٣) » .

ويبدو أن مستوى المدرسة الرشدية بالمدينة لم يكن يختلف في نظر الشيخ علي بن موسى عن مستوى الكتاتيب ، ذلك لأنه حينما تحدث عن كتاتيب

---

(١) ص ١٤٨ ـ ١٤٩ .

(٢) كتابه السابق ، ص ١١٨ .

(٣) كتابه السابق ، ص ٥٠ .



منظر المدينة المنورة كما صوره محمد باشا صادق في زيارته الثانية للمدينة عام ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠ م) .

المدينة في عام ١٣٠٣ ﻫ ذكر بأن من بينها واحدا « صار في زمن سلطاننا عبد الحميد الغازي بن عبد المجيد مكتب رشدية لتعليم الصبيان الخطوط وسائر اللغات »(١) .

وحينما زار محمد لبيب البتنوني المدينة المنورة عام ١٣٢٧ ﻫ (١٩٠٩ م) أشار إلى أن فيها « سبعة عشر مكتباً لتعليم مبادىء العلوم البسيطة »(٢) . وذكر الأستاذ عثمان حافظ الذي تلقى المراحل الأولى من تعليمه بالمدينة في العهد العثماني بأنه كان في المدينة حينئذ أربع مدارس تحضيرية يتكون كل منها من أربعة فصول ، وثلاث مدارس ابتدائية تشمل كل مدرسة ستة فصول ، ومدرستين ليليتين لتعليم الأميين(٣) . وأشار الأستاذ جعفر فقيه إلى أنه كان يعهد في عام ١٣١٧ ﻫ (١٨٩٩ م) المدرسة الاعدادية بالمدينة ، وأنها كانت تتألف من قسمين « قسم في درجة الرشدية وعلى ما يسمونه ثلاثة صفوف ثم الاعدادية من درجة الثانوية أربعة صفوف » ، وأضاف إلى ذلك قوله بأن منهج الاعدادية كان يرسل من استانبول ، وأن كنعان بك التركي كان مديراً لها ، كما أن بعض مدرسيها كانوا يوفدون إليها من استانبول مثل توفيق رشدي أستاذ الرياضيات(٤) . أما الأستاذ عثمان حافظ فقد ذكر بأن هذه المدرسة أُسست حوالي عام ١٣١٨ ﻫ (١٩٠٠ م) ، وأنها كانت « في مستوى المدارس الثانوية ، وكانت ذات خمسة فصول ، ثم أُضيف إليها فصل سادس باسم احضاري فصلي بمستوى السنة التوجيهية ، وهذا الفصل يعتبر كسنة أُولى سلطاني(٥) » . وكانت المدرسة الاعدادية تدرس باللغة التركية ، إلا أن الدراسة

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) كتابه السابق ، ص ٢٥٥ .
(٣) تقريره السابق .
(٤) تقريره السابق .
(٥) « الطلاب المبتعثون في العهد العثماني » ، مجلة المنهل ، عدد ١٢ (ذو الحجة ١٣٨٨ ﻫ – مارس ١٩٦٩ م) .

قد تحولت « في الفصول الأخيرة إلى اللغة العربية ما عدا اللغة التركية وآدابها وبعض الفنون(١) » .

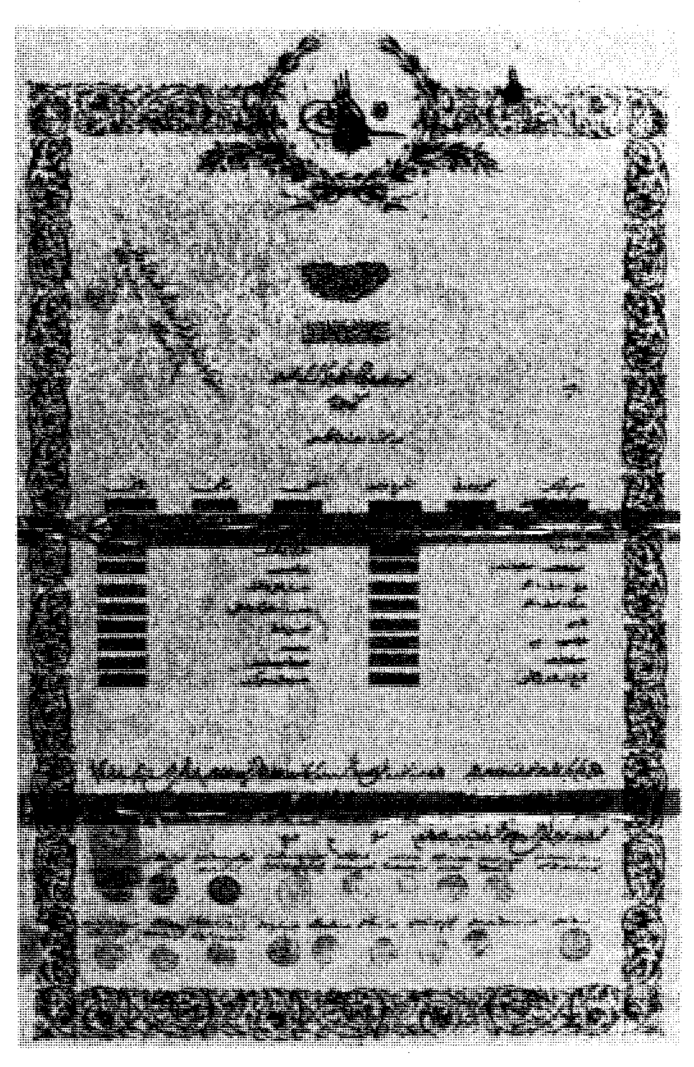
وكانت المواد التي تدرس بالمدرسة الاعدادية في المدينة المنورة عام ١٣٢٧ ﻫ (١٩٠٩ م) كالتالي : العلوم الدينية ، المعلومات المدنية ، نحو اللغة العربية وصرفها ، نحو اللغة التركية وصرفها ، اللغة الفارسية ، الجبر ، التاريخ الاسلامي والعثماني ، الجغرافيا العامة ، الحساب ، الهندسة الخطية والسطحية ، تحسين الخط . ولم تكن هذه المدرسة تستخدم الأرقام في اثبات درجات النجاح في شهادتها ، بل كانت تستخدم التقديرات ، فكان أرفع هذه التقديرات « علي الأعلى » ثم « أعلى » ثم « قريب أعلى » . وكانت هذه الشهادة تحرر باللغة التركية ، كما أنه كان من عادة الممتحنين الخارجيين الذين يشرفون على الامتحان والأساتذة الذين يدرسون المواد ومدير المدرسة أن يختموا شهادات الطلاب بأختامهم ، ثم يصدقها بعد ذلك محافظ المدينة المنورة ويختمها بخاتمه(٢) . ويظهر أن الأستاذ كنعان التركي الذي أشار الشيخ جعفر فقيه – كما ذكر من قبل – إلى أنه كان مديراً للمدرسة الاعدادية في المدينة المنورة إبان نشأتها لم يدم في هذا المنصب طويلا ، ذلك لأن الذي كان يتولى إدارة المدرسة في عام ١٣٢٧ ﻫ هو ضياء الدين إبراهيم(٣) .

---

(١) المصدر نفسه ، حيث أن المصادر التي تحدثت عن التعليم بالمدينة المنورة في هذه الفترة قليلة جداً ، فإني سأعتمد في أكثر ما يلي من حديث عن المدينة على المعلومات القيمة التي سجلها الأستاذ عثمان حافظ حول هذا الموضوع .

(٢) اعتمدت في تسجيل هذه المعلومات على الشهادة التي حصل عليها الشيخ عبد المجيد خطاب من المدرسة الإعدادية بالمدينة المنورة عام ١٣٢٧ ﻫ .

(٣) المصدر نفسه .



صورة الشهادة التي نالها الشيخ عبد المجيد خطاب من المدرسة الاعدادية في المدينة المنورة عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) والتي حصل فيهـــا على درجة الامتيـــاز « علي الأعلى » .

ويبدو أن الحاجة ما لبثت أن دعت إلى أن ينشأ في المدينة معهد دراسي يلتحق به خريجو المدرسة الاعدادية ، فقد افتتحت حوالي عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) دار المعلمين التي كانت تعني « بتعليم الطلاب أُصول التدريس لتزويد المدارس التحضيرية والابتدائية بالمدرسين . وكانت الدراسة بدار المعلمين باللغتين العربية والتركية ، في الوقت الذي كانت الدراسة بالمدارس الابتدائية والتحضيرية والاعدادية كلها باللغة التركية(١) » . ورغم أن الحكومة التركية كانت تدفع لكل طالب من طلاب دار المعلمين مكافأة شهرية مقدارها ثلاثة ريالات مجيدية إلا أن عدد من التحق بهذه الدار من الطلاب لم يزد عن خمسين طالباً . وما لبثت هذه الدار أن أُغلقت وابتعث من تفوق من طلابها إلى كلية صلاح الدين الأيوبي بالقدس والمدرسة السلطانية بدمشق(٢) .

وكان بعض طلاب المدينة المنورة يجدون الفرصة متاحة للاستزادة من المعارف خارج بلادهم في استانبول ودمشق والقدس ، إذ « كانت الحكومة العثمانية تطلب كل عام أربعة من خريجي المدرسة الاعدادية لابتعاثهم ، ولكن الاقبال على ذلك كان ضئيلا جداً »(٣) . وقد أرسلت أول بعثة من خريجي المدرسة الاعدادية إلى استانبول في عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) . ولكن يظهر أن الحكومة العثمانية لم تكن تتحمل جميع نفقات هذه البعثات ، وأن أولياء أُمور الطلاب المبتعثين كانوا يدفعون قسطاً من نفقات تعليم أبنائهم ، ذلك لأن الحكومة كانت « تساعد المبتعثين بتخفيض تذكرة السفر على القطار إلى النصف فيدفع الطالب مبلغ جنيه ونصف بدل كامل التذكرة التي هي ثلاثة جنيهات(٤) »

---

(١) عثمان حافظ ، مقالته السابقة .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه . تحفل هذه المقالة كذلك بمزيد من المعلومات حول أسماء هؤلاء المبتعثين وأحــوالهم .

ورغم وجود هذه المؤسسات التعليمية الحكومية في المدينة المنورة حينذاك ، فان استفادة أهل المدينة منها كانت محدودة وذلك لسببين : الأول أنهم أحسوا بشيء من الريبة في أمرها فلم « تجد المدارس في العهد العثماني أول الأمر اقبالا من أهل المدينة المنورة فقد كانت الفكرة السائدة أن هذه المدارس تؤدي إلى الحاق أبناء المدينة بالعسكرية[١] » ، والسبب الثاني : أنه حينما بدأ الأهالي في الاطمئنان إلى هذه المدارس ، نشبت الحرب العالمية الأولى وأُغلقت جميع المدارس بالمدينة في حوالي عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م)[٢] .

◇◇◇◇◇◇

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

الفصل الثالث

التعليم في جدة

التعـــليم الحكومي

المدارس الحكومية :

لقد تركز التعليم في هذه الفترة في مكة والمدينة ، أما الأجزاء الأخرى من ولاية الحجاز فكان حظها من التعليم يعتمد على قربها أو بعدها من هاتين المدينتين المقدستين ، ولعل مدينة جدة أقل تلك الأجزاء حرماناً من التعليم ، فقد وجدت فيها بعض الكتاتيب والمدارس والحلقات الدراسية .

وقد جاء في سالنامة ولاية الحجاز التي صدرت في عام ١٣٠٥ ه أنه كان في جدة مدرسة رشدية واحدة ، وورد في سالنامتي عام ١٣٠٦ و ١٣٠٩ ه أنه كان في هذه المدرسة الرشدية معلمان اثنان و ٣٨ تلميذاً . وذكر محمد لبيب البتنوني الذي زار جدة في عام ١٣٢٧ ه (١٩٠٩ م) أن المدرسة الرشدية بجدة كانت تضم حينئذ نحو مائة وعشرين تلميذاً ، وأنها تدرس شيئاً بسيطاً من الحساب والكتابة والقراءة العربية والتركية ، وأضاف إلى ذلك قوله بأن مستواها الدراسي أقل من مستوى مكاتب الأوقاف بمصر(١) .

وذكر الشيخ محمد حسين نصيف أن المدرسة الرشدية بجدة كانت موجودة في مطلع القرن العشرين ، وأنها كانت تدرس الحساب والجغرافيا والخط والنحو والتوحيد ، ولكنه أشار إلى أنه لم يستفد منها سوى أبناء الموظفين

---

(١) كتـــابه السابق ، ص ٩ .

الأتراك ، أما الأهالي فلم يدخلوا أبناءهم فيها لأنها كانت تعلم المواد باللغة التركية ، ولأنهم خافوا من أن تكون وسـيلة لالحاق أبنائهم بالمدارس العسكرية(١) .

وفي عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) افتتحت في جدة مدرسة حكومية لتعليم اللغة التركية(٢) . كما أسست في عام ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) مدرستان ابتدائيتان في قريتي النزلة وبني مالك اللتين تجاوران مدينة جدة(٣) .

◇◇◇◇◇◇

---

(١) تقرير عن ماضي التعليم في مدينة جدة (محفوظ في مكتبة الوثائق التربوية بوزارة المعارف في الرياض) .

(٢) جريدة حجاز ، عدد ٢ (١٣٢٦/١٠/١٥ هـ - ١٩٠٨/١١/١٠ م) .

(٣) المصدر نفسه ، عدد ٦٢ (١٣٢٨/٩/١٠ هـ - ١٩١٠/٩/١٥ م) .

التعليم الأهلي

الكتاتيب :

لعل أول تعداد للكتاتيب الموجودة في جدة في هذه الحقبة هو ما ورد في سالنامة ولاية الحجاز التي صدرت في عام ١٣٠٥ هـ ، فقد جاء في هذه السالنامة أنه كان في جدة حينئذ تسعة كتاتيب ، كما ورد في سالنامتي عام ١٣٠٦ هـ و ١٣٠٩ هـ أن هذه الكتاتيب قد أصبحت عشرة .

وأشار إبراهيم رفعت إلى أنه كان في جدة حين زيارته لها في عام ١٣١٨ هـ (١٩٠١ م) تسعة كتاتيب(١) ، ولكن يبدو أنه لم يسجل هنا ما كان موجوداً في جدة من كتاتيب حين زيارته لها ، وإنما نقل ما ورد في سالنامة عام ١٣٠٥ هـ دون أن يشير إلى ذلك . ومما يعزز هذا القول هو أن عدد الكتاتيب التي ذكرها يوافق ما جاء في هذه السالنامة ، وأن عدد الكتاتيب قد زاد بعد عام ١٣٠٥ هـ فأصبح – كما ورد في سالنامتي عام ١٣٠٦ هـ و ١٣٠٩ هـ عشرة ، كما أن سالنامة ولاية الحجاز كانت من مصادر كتابه ، إذ اعتمد على عدديها اللذين صدرا في عامي ١٣٠٣ و ١٣٠٩ هـ حينما تحدث عن مدارس مكة والمدينة(٢) .

وقد ذكر الشيخ محمد حسين نصيف الذي التحق بكتاب الشيخ عبد المنعم في جدة سنة ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) أنه كان في جدة حينئذ عدة كتاتيب منها

---

(١) مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٨٢ و ٤١٤ .

كتاب الشيخ خليل حمد وكتاب الشيخ محمد الدسوقي وكتاب آخر وقفه الشيخ عبد الله نصيف . وقد وصف الشيخ محمد نصيف الكتاب بأنه عبارة عن غرفة واسعة مفروشة بالحصر ، فيها زير ماء أُعد لشرب التلاميذ ، ولكن أبناء الأعيان كانوا يأتون إلى الكتاب وقد حمل معهم الخدام آنية الماء الفخارية « الشربة » ، وفي الظهر يعود هؤلاء الخدام ليملؤوا هذه الآنية مرة أُخرى . وقال الشيخ نصيف كذلك بأن اليوم المدرسي في الكتاب كان يبدأ بشروق الشمس وينتهي عند العصر ، وأن عدد التلاميذ كان يتراوح بين خمسين وستين . وكان التلميذ يدفع لشيخه كل يوم خميس قرشين أو ثلاثة بحسب قدرة ولي أمره . وكان التلميذ يمكث في الكتاب خمس سنوات أو ست سنوات يتعلم خلالها الهجاء ويختم القرآن الكريم نظراً ، ومن أراد من التلاميذ تجويد القرآن أعاده أربع مرات أو خمس مرات(١) .

المدارس الأهلية :

وفي مطلع القرن العشرين وجد في مدينة جدة شيء من النشاط في تأسيس المدارس الأهلية ، فقد أُنشئت في عام ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) مدرسة النجاح الأهلية بجدة ، وقد ذكر الشيخ محمد عبد الرحمن الفضل الذي كان أحد تلاميذ هذه المدرسة في عامي ١٣١٩ و ١٣٢٠ هـ أنه قد أسس هذه المدرسة كل من الشيخ أحمد شاهين المصري الأصل ومحمد أفندي المفتي الاسكندراني وثلاثة من جدة هم عبد العزيز شمس وعبد الرحمن شمس وعبد المقصود خوجه . وحين تحدث عن منهاج الدراسة في هذه المدرسة قال بأنه كان « متمشياً على طريقة السؤال والجواب ، وكان يدرس فيها مبادىء العلوم العربية من نحو وصرف مع الفقه الحنفي والتجويد والحساب والتاريخ والمطالعة العربية »(٢) .

---

(١) تقريره السابق .

(٢) « مدرسة النجاح قبل مدرسة الفلاح في جدة » ، مجلة المنهل ، عدد ٦ (جمادى الثانية ١٣٨٠ هـ — ديسمبر ١٩٦٠ م) .

وحيث أن مدرسة النجاح كانت تعتمد على المساعدات الخيرية وعلى تبرعات أولياء أمور الطلاب فإنها لم تلبث أن عانت من قلة الموارد المالية ، وحين استعانت إدارتها بالحكومة العثمانية « وافقت الحكومة على مدها بالمساعدة بشرط أن تدخل اللغة التركية في منهجها ، وفعلا استمر التدريس فيها باللسان التركي »(١) . وكان الشيخ محمد علي زينل – الذي أسس مدرستي الفلاح فيما بعد – يساعد هذه المدرسة ، ويوالي زيارتها واتحاف تلامذتها بالأدوات الكتابية(٢) . ورغم هذه المساعدات فان المصاعب المالية قد جعلت المدرسة تغلق أبوابها في عام ١٣٢٤ أو ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م)(٣) .

وفي حوالي عام ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) أسس الشيخ عبد الكريم مراد الطرابلسي مدرسة أهلية أخرى في جدة ، وكانت تدرس الهجاء والقرآن الكريم والفقه والتوحيد والخط والحساب ، وكان يلتحق بها التلاميذ بعد الانتهاء من دراسة الكتّاب . وحيث أن هذه المدرسة كانت تشبه مدرسة النجاح من حيث اعتمادها على الاعانات الخيرية ، فإنها لم تلبث أن أغلقت بعد سنتين أو ثلاث سنوات من افتتاحها(٤) .

ومما لا شك فيه أن أهم المدارس الأهلية التي أُنشئت في جدة في هذه الفترة هي مدرسة الفلاح التي افتتحت – كما ذكر من قبل – في عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م)(٥) . وحين زار محمد لبيب البتنوني جدة في عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) أشار إلى أن في جدة مدرسة أهلية تسمى مدرسة الاصلاح ، وأن

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه . وانظر كذلك محمد حسين نصيف ، تقريره السابق .
(٤) محمد حسين نصيف ، تقريره السابق .
(٥) سبق الحديث عن هذه المدرسة في الفصل الأول من هذا الكتاب .

بها نحو ثمانين تلميذاً . وقد تحدث عن منهجها فقال بأنها تدرس قليلا من الحساب والكتـابة والقراءة العربية والتركية ، وأنهـا أقل من مستوى مكاتب الأوقاف بمصر(١) .

حلقات التـدريس :

وإلى جانب هذه المؤسسات التعليمية ، كان علماء جدة يسهمون حينئذ في نشر العلم ، ويعقدون الحلقات الدراسية ، فقد «كانت جدة قبل مدة من الزمن حافلة بطائفة من العلماء يدرسون الفنون في مساجدها ، ويعلمون العلوم لأبنائها في المدارس والدور مجاناً ، وليس لهم رزق في مال الدولة ، وكانوا يعكفون على التعليم ليلهم ونهارهم(٢) » .

ومن هؤلاء العلماء الذين انتفع أهل جدة بعلمهم واستفادوا من حلقاتهم :

١ — الشيخ أحمد بن سلمان الحضرمي الشافعي (١٢٨٧ — ١٣٢٧ هـ)(٣) وقد تعمّق في الفقه الشافعي ، وكان يقوم بالتدريس بعد صلاة المغرب من كل ليلة في معظم مساجد جدة ورباط السادة وقد انتفع بعلمه — كما قال الشيخ علي بن سالم العميري — «كثير من أبناء جدة والعوام»(٤)

٢ — الشيخ أحمد بن عبد الرحمن باجنيد (١٣٠١ — ١٣٣٢ هـ) وكان

---

(١) كتابه السابق ، ص ٩ .

(٢) محمد حسين نصيف ، « علماء جدة المعاصرون الراحلون » ، مجلة المنهل ، عدد ٤ (ربيع الثاني ١٣٦٥ هـ — مارس ١٩٤٦ م) .

(٣) ان هذا التاريخ تقريبي ، كما أن معظم تواريخ الولادة والوفاة التي سترد في تراجم علماء جدة تواريخ تقريبية .

(٤) علي بن سالم العميري ، تراجم علماء جدة من الحضارمة ، مخطوط ، كتب بقلم مؤلفه سنة ١٣٦١ هـ ، ورقة ٦ . ومحمد حسين نصيف ، « علماء جدة » ، المنهل ، عدد ٤ .

يدرس بمسجد لؤلؤة بجدة حيث « انتفع بعلمه كثير من المستمعين »(١) .
وقد وصفه الشيخ علي بن سالم العميري بأنه كان « معلما مدرساً مفهما افتتح دروساً في الفقه والنحو وكانت على حسب حالة الوقت والراغبين ، ففي المساجد يدرس للعامة وأخويه علي وعمر وبعض أبناء البلاد ، ونجح من تلامذته الشيخ عبد الرحمن باوارث أذن له في التدريس والتعليم في المساجد وافتتح دكاناً بالسوق يعلم فيه بعض أبناء البلاد كالمدرسة ، وله معرفة في الحساب وفنونه وقواعد دفاتر التجارة ومعاملاتها ، وقد انتفع به أبناء الوطن ، وكانت له مؤلفات منها : قلائد التفاح في شرح الايضاح للامام النووي في المناسك .. ورسالة منظومة في مسائل المعذور في الصلاة لم تطبع ، ورسالة في الاجارة وفعل الأجير طبعت بمطبعة الاصلاح بجدة »(٢) .

٣ ــ الشيخ أحمد بن عثمان بن محمد باعثمان (ــ ١٣٠٦ هـ) الذي « نشر العلوم بالمجالس ، وعلم وواظب وانقطع له بالزاوية العلوانية المشهورة بزاوية الحضارم وانتفع به ناس كثير »(٣) .

٤ ــ الشيخ أحمد بن علي أبو صبرين (١٢٨٠ ــ ١٣٣٢ هـ) . أرسله والده الشيخ علي ــ الذي كان يعتبر من أبرز علماء جدة ــ إلى مصر لطلب العلم ، وحينما عاد الشيخ أحمد إلى جدة حوالي عام ١٣١٨ هـ اختبره والده ، ثم أنابه عنه في بعض دروسه ، وقد انقطع للتدريس ، وكان يُعَلِّم الفقه وغيره من الفنون في مساجد جدة حيث انتفع بعلمه

---

(١) محمد حسين نصيف ، « علماء جدة » ، المنهل ، عدد ٤ .

(٢) علي بن سالم العميري ، كتابه السابق ، ورقة ٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ٢ .

الكثيرون . وكان حريصاً على تشجيع الطلاب وحثهم على دراسة العلوم واتقانها(١) .

٥ – الشيخ أحمد بن محمد الزهرة الشافعي (– ١٣٦٤ هـ) الذي ولد بمصر وتعلم بها ثم رحل إلى الحجاز حيث أقام في المدينة المنورة مدة من الزمن ، ثم قدم إلى جدة في عام ١٣٠٧ هـ وأقام بها أربعين سنة متوالية . وكان يدرس في مسجد الشافعي بجدة بعد صلاة المغرب من كل ليلة ، كما أنه كان يتخذ داره مكاناً للتدريس كذلك(٢) .

٦ – الشيخ أحمد بن محمد بن عجلان باعجاجة (– ١٣١٨ هـ) كان يدرس الفقه الشافعي في زاوية أبي سيفين بسوق الندى ، وكان غالباً ما يلقي دروسه بعد صلاة المغرب . وقد تتلمذ على يديه عدد من الطلاب الذين بلغوا « رتبة التدريس »(٣) .

٧ – الشيخ عبد الرحمن أبو حجر (١٢٨٠ – ١٣٥٨ هـ) ولد بالجزائر ودرس بها ثم التحق بالأزهر ، وقد رحل بعد ذلك إلى مكة المكرمة ثم أقام في جدة حيث اشتغل بالعلم والتعليم(٤) .

٨ – الشيخ عبد الله بن بركات باحكيم (– ١٣١٦ هـ) الذي قال عنه تلميذه علي بن سالم العميري بأنه كان « شديد الحرص على تعليم العلم الشريف مواظباً في دروسه ، فمن ذلك جعل في كل ليلة درسين :

---

(١) المصدر نفسه ، ورقة ١ و ٦ – ٧ . وانظر كذلك محمد حسين نصيف ، « علماء جدة » ، المنهل ، عدد ٤ .

(٢) محمد حسين نصيف ، « علماء جدة » ، المنهل ، عدد ٤ .

(٣) علي بن سالم العميري ، كتابه السابق ، ورقة ٥ – ٦ .

(٤) محمد حسين نصيف ، « علماء جدة » ، المنهل ، عدد ٤ .

الأول من بعد صلاة المغرب إلى العشاء للطلبة البالغين الناجحين ، قرأ كتباً كثيرة ، ومن شدة اعتنائه في التفهيم بلغت الطلبة عليه من كثرتهم ما غصت بهم زاوية الحضارم المشهورة ، وانتفع به ناس كثير . والدرس الثاني للصغار من سن التمييز جعل دروسنا حفظ متن المنظومة للعلامة أحمد بن رسلان المسماة بالزبد ، والثانية منظومة الجوهرة للعلامة إبراهيم اللقاني ، والثالثة منظومة الرحبية للعلامة أبي عبد الله محمد بن علي الرحبي المتوفي سنة ٧٧٥ هـ ، فكان لهذه الثلاثة المتون وقع للمبتدئين وسهولة في تلقينها وتلقيها ، فالأولى في الفقه والثانية في التوحيد والثالثة في المواريث »(١) . وكان الشيخ باحكيم شديد الغيرة على الدين ، يصدع بالحق ولا يخشى في الله لومة اللائمين (٢) .

٩ ـ الشيخ محمد حامد بن أحمد عوض (— ١٣٤١ هـ) ولد في بلدة ظباء وتعلم في المدينة المنورة ثم التحق بالأزهر حيث حصل على « الشهادة العالمية » . وقد قدم بعد ذلك إلى جدة ودرّس فيها « مدة طويلة »(٣) .

١٠ـ الشيخ محمد بن حسين إبراهيم (١٣٠٤ ـ ١٣٥٤ هـ) ولد بمصر وأقام بها فترة من الزمن ، ثم قدم إلى جدة حيث تعلم القراءات وواظب على حضور دروس المشايخ حتى أصبح من العلماء المعدودين . وكان « يدرس التفسير والحديث وانتفع بعلمه خلق كثير »(٤) .

---

(١) كتابه السابق ، ورقة ٤ ـ ٥ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) محمد حسين نصيف ، « علماء ، المنهل ، عدد ٤ . جدة »
(٤) المصدر نفسه .

التعليم في بلـــدان الحجاز الأخرى

التعليم في الطائف :

لا يوجد في المصادر التي تحدثت عن التعليم بولاية الحجاز في آخر العهد العثماني سوى القليل من المعلومات حول الحياة العلمية في الأجزاء الأخرى من هذه الولاية . وربما كان أهم أسباب ذلك ضعف الحركة العلمية في تلك البلدان . وتأتي بلدة الطائف بعد مدينة جدة في حظوتها بشيء من وسائل التعليم . ولعل أول احصاء رسمي للمدارس في الطائف هو ما أوردته سالنامة ولاية الحجاز ، فقد جاء في الأعداد الثلاثة الأخيرة من سالنامة ولاية الحجاز التي صدرت في الأعوام ١٣٠٥ و ١٣٠٦ و ١٣٠٩ هـ أن في الطائف أربعة كتاتيب ومدرسة دينية واحدة . ويبدو أن الطائف قد نال حينئذ شيئاً من عناية المسؤولين عن التعليم الحكومي ، إذ افتتحت فيه بعد ذلك مدرسة رشدية ، كما أُنشئت فيه عام ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) مدرسة ابتدائية في « ناحية أسفل » ، وذلك إلى جانب مدرسة القصبة الابتدائية التي كانت موجودة من قبل(١)

التعليم في الوجه وينبع :

لم تشر سالنامة ولاية الحجاز إلى وجود شيء من المدارس في الوجه وينبع . ولكن إبراهيم رفعت الذي زار الوجه في عام ١٣١٨ هـ (١٩٠١ م)

---

(١) جريدة حجاز ، عدد ٧٢ (١٣٢٩/٣/٢٩ هـ - ١٩١١/٣/٣٠ م) .

قد ذكر بأنه لم يكن في الوجه سوى كُتّاب واحد قال عنه بأنه « مكتب صغير لم أجد به شيئاً من كتب التعليم فأرسلت له مصحفاً مجزأ وكثيراً من جزأي عمَّ وتبارك يعلم فيها أولاد الفقراء »(١) . أما بلدة ينبع فقد ذكر إبراهيم رفعت بأنه كان فيها حين قدم إليها في رحلته الثانية عام ١٣٢٠هـ (١٩٠٣م) « مكتب للتعليم(٢) » .

◇◇◇◇◇◇

(١) كتابه السابق ، ج ١ ، ص ٤٩٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٣ .

الفصل الرابع

نفقات التعليم ومرتبات المدرسين



الرسوم الدراسية في الكتاتيب

انتشرت في هذه الفترة المدارس الأهلية التي اعتمدت – كما ذكر من قبل – على المساعدات الخيرية التي كان يجود بها المحسنون من الحجاز وخارجه . ورغم أن هذه المساعدات لم تكن كافية أو ثابتة إلا أنها استطاعت أن تشد أزر عدد من المدارس التي كانت تعتبر من أنجح مدارس هذه الحقبة كالصولتية والخيرية والفلاح .

أما الكتاتيب فيبدو أنها كانت تعتمد على ما يدفعه أولياء أمور التلاميذ من مكافآت وهدايا . فقد ذكر سنوك هرجرونجه حين تحدث عن كتاتيب مكة في آخر القرن التاسع عشر أن من عادة الأب عندما يلحق ابنه بالكُتّاب أن يعطي المعلم (الفقيه) هدية سخية تتراوح قيمتها ما بين ربع دولار ودولارين، ثم بعد ذلك يتلقى المعلم كل يوم خميس ما يساوي نصف بنس أو ثلاثة أرباع البنس . ويعطي الأب المعلم كذلك في الأعياد والمناسبات العامة هدايا تلائم قدرته المادية . وحينما يتم التلميذ ثلثي القرآن الكريم أو نصفه ينال المعلم مكافأة تتراوح بين دولار وثلاثة دولارات . أما إذا ختم التلميذ القرآن فإن مكافأة المعلم تكون أكثر سخاء إذ يمنحه الموسرون حوالي ثلاثين دولارا وكسوة (بدلة) أو جُبّة(١) .

وقد وضع الشيخ حسن العبادي في عام ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) نظاماً لكُتّابه الذي أسسه في مكة المكرمة ، حدد فيه ما يجب على ولي أمر التلميذ

---

(١) كتابه السابق ، ص ١١٥ – ١١٦ .

أن يدفعه أثناء دراسة ابنه في الكُتّاب . وسأورد فيما يلي نظام هذا الكُتاب وشروطــه :

١ – أن يقدم ولي الأمر أولا للشيخ مجيديين عند الدخول باسم الفتوح .

٢ – أن يدفع الولي للشيخ في كل خميس ربع مجيدي ، أي خمسة قروش باسم الخميسية ، منها قرش للحصير الذي يجلس عليه التلاميذ ، وقرش للماء وثلاثة قروش للشيخ .

٣ – إذا وصل التلميذ إلى سورة الفتح أو سورة الضحى أو سورة عم أو سورة تبارك ، فانه يجب على ولي أمر ذلك الطالب أن يدفع ثلاثة مجيديات للشيخ ، منها نصف مجيدي للعريف الذي يقوم بنقش لوح « الاصرافة » بالألوان ، ونصف مجيدي قيمة الألوان ، والباقي للشيخ مع تقديم شيء من الحلاوة البتاسة لتوزع على عموم التلاميذ .

٤ – إذا ختم التلميذ القرآن الكريم وجب على ولي أمر الطالب أن يدفع للشيخ خمسة عشر مجيدياً ، منها مجيديان للعريف الذي ينقش لوح « الاقلابة » بالألوان الذهبية ، والباقي للشيخ . كما يجب على ولي أمر الطالب إحضار كمية من الحلاوة البتاسة المذهبة والمفضضة لتقسم على عموم تلاميذ الكتاب .

٥ – إذا عمل ولي الطالب لابنه « اقلابة » أو وليمة فان الذي يرمى على اللوح للشيخ دون غيره .

٦ – يجب على ولي الأمر أن يقـــدم في الأعياد الصغار المشبك مع البخشيش . أما في آخر شهر رمضان فعلى الولي أن يبعث بزكاة ابنه مع العيدية منذ يوم ٢٧ رمضان ، وأن يسلمها للشيخ وهي الفطرة(١) .

(١) انظر عبد الله خوجه ، تقريره السابق .

وعندما تحدث الشيخ محمد حسين نصيف عن الكتاتيب بجدة في هـــذه الفترة ، أشار – كما ذكر من قبل – إلى أن التلميذ يدفع لشيخ الكُتّاب قرشين أو ثلاثة قروش في كل يوم خميس ، وذلك بحسب قدرة وليه(١) .

وكان بعض المشايخ والعرفاء في كتاتيب المدينة المنورة يتقاضون راتباً من الحكومة العثمانية ، إذ ذكر الأستاذ جعفر فقيه حينما تحدث عن الكتاتيب الستة التي كانت داخل المسجد النبوي بأن الشيخ كان يتقاضى معاشاً من الخزينة النبوية مقداره مائتا قرش عثماني ، كما أن العريف كان يتقاضى مائة قرش عثماني(٢) .

ولكن يبدو أن هذا المعاش كان مقصوراً على كتاتيب المسجد النبوي ، أما الكتاتيب الأخرى في المدينة المنورة فلم يكن لأصحابها معاش حكومي . فحينما تحدث الأستاذ عثمان حافظ عن كتاتيب المدينة المنورة قبيل الحرب العالمية الأولى أشار إلى أن معلمي هذه الكتاتيب وعرفائها لم يكونوا يتقاضون مرتبات من الدولة ، بل كانوا يعتمدون على ما يدفعه لهم كل شهر أولياء أُمور التلاميذ . ثم قال : « وأذكر أن ما كنا ندفعه شهرية للشيخ والعريف ، كنا ندفع مجيدياً واحداً للشيخ وروبية للعريف ، والروبية كانت تنقص عن المجيدي بأربعة قروش ، كان المجيدي بعشرين قرشاً ، والروبية بستة عشر قرشاً »(٣) .

ويظهر أن قيمة المجيدي والروبية قد اختلفت في الفترة التي تحدث عنها عثمان حافظ عما كانت عليه في آخر القرن التاسع عشر . فقد ذكر محمد صادق

---

(١) تقريره السابق .
(٢) تقريره السابق .
(٣) تقريره السابق .

الذي زار الحجاز في عام ١٣٠٢ هـ (١٨٨٥ م) النقود التي كانت تستعمل هناك حينئذ ، وأورد البيان التالي الذي يوضح قيمتها بالنسبة للقروش العثمانية في زمن الحج وبعده(١) :

اسم العملة	قرش عثماني (وقت الحج)	قرش عثماني (من بعد الحج)
الجنيه المصري	١٦٩	١٧١
الجنيه الانجليزي	١٦٨	١٧٠
الجنيه العثماني	١٤٨	١٥١
البنتـــو	١٢٨	١٣٣
الريال بطـــاقة	٢٨	٢٠ر٢٨
الريال الشنكوا	٢٨	٢٩
الريال المجيدي	٢٦	٢٨
الروبيـــة	١٣	١٣
الفـــرانك	٥	—
القرش المصري	٢٠ر١	—

◇◇◇◇◇◇

(١) كتابه السابق ، ص ٦٤ .

مرتبــات المدرسين في الحرم المكي

كانت « سالنامة ولاية الحجاز » تنشر قائمة بأسماء مدرسي الحرم المكي والمرتبات التي خصصتها الدولة لبعضهم ، وحيث أن في مثل هذا البيان ما يلقي الضوء على الموارد المالية لمدرسي هذه الفترة ، ويسجل أسماءهم ومراتبهم ، فإني سأورد فيما يلي هذه القائمة التي نشرت في سالنامة عام ١٣٠٣ هـ (١٨٨٦ م) والتي ضمت مائة وسبعة من المدرسين ، منحت الدولة أربعة وخمسين منهم مرتبات سنوية ، أما الباقون فكانوا ملازمين بدون راتب معين :

١ ــ المدرسون المرتب لهم خمسمائة قرش سنوياً :

إبراهيم مرغني ، محمد صالح زواوي ، عبد الله اخسخوي ، حافظ كتب محمود أفندي ، محمد سعدي ، صديق جان ، أحمد مرغني ، سليمان نقشبندي ، أبو بكر بسيوني ، محمد داغستاني ، زيني جمال الليل ، عقيل مرغني .

٢ ــ المدرسون المرتب لهم أربعمائة قرش سنوياً :

محمد حسب الله ، أحمد أبو الخير ميرداد ، محمد ياســين بسيوني ، عمر سقاف ، عباس مرداد ، أحمد أمين أفندي بيت المال .

٣ ــ المدرسون المرتب لهم ثلاثمائة قرش سنوياً :

أبو بكر مرغني ، عباس بن صديق ، أحمد أمين ، محمد سعيد بابصيل ، حسين فتياني ، سالم عطاس ، محمد منصوري ، عمر شامي ، حسن طيب ،

حسن عرب ، محمد أبو الريش ، جعفر داغستاني ، محمد منشاوي ، عبد الله خضري ، حسن القونيهوي ، أحمد زواوي ، محضار سقاف ، رحمة الله أفندي ، محمد بن السيد محمد مرغني ، عبد القادر خوقير ، مصطفى عفيفي ، عمر شطا ، عبد الله زواوي ، سليمان فقيه ، محمد سعيد أديب ، موسى نقشبندي ، أبو بكر شطا ، علي مرغني .

٤ — المدرسون المرتب لهم مائتا قرش سنوياً :

عبد السلام قاضي ، أبو بكر مفتي ، علوي بن صالح عقيل ، عبد القادر عبد الغني .

٥ — المدرسون المرتب لهم مائة قرش سنوياً :

صالح بن صديق كمال ، محمد مكي الكتبي ، عقيل بن قاسم ، إبراهيم ابن موسى .

٦ — المدرسون الملازمون :

سلطان داغستاني ، عبد الله بن مفتي المالكية ، عقيل بن قاسم[1] ، فرج الغزاوي ، عبد الرحيم أفندي رحيم الكتبي ، محمد مهدلي ، علي باحنشل ، محمد صالح خليفه ، محمد الكناني ، علي حنبلي ، عمر حجي ، عبد الرحمن قاري ، عبد الرحيم جمال ، محمد نواب ، أحمد سلامة ، محمد عابد بن الشيخ

---

(١) أوردت سالنامة عام ١٣٠٣ هـ اسم الشيخ عقيل بن قاسم مرتين ، الأولى عندما ذكرت أسماء المدرسين المرتب لهم مائة قرش ، والثانية هنا مع المدرسين الملازمين ، ويبدو أن ورود اسمه في المرة الأولى خطأ ، ذلك لأن سالنامة عام ١٣٠١ هـ لم تذكره إلا ضمن المدرسين الملازمين ، وأنها قد أوردت اسم الشيخ علوي سقاف مع من رتب لهم مائة قرش ، ولكن سالنامة عام ١٣٠٣ هـ لم تأت باسم علوي سقاف .

حسين ، أحمد بن عبد الله بافقيه ، إبراهيم تونسي ، علي بن عبد الله ريس ، زين العابدين جمال الليل ، عبد الله بن محمد العطاس ، محمد بدوي ، اسماعيل نواب ، أحمد بابصيل ، خليل بن آدم الجبرتي ، عبد القادر شمس ، أحمد بن يحي مؤذن ، أحمد بن عبد الله بافقيه ، عثمان راضي ، مفتّي المالكية محمد أفندي ، محمد فردوس ، إبراهيم صباغ ، محمد غزالي ، محمد ياسين ، أحمد شماع ، عبد الرحمن شيبي ، محمد صالح شيبي ، أحمد ابن سالم عطاس ، حسن كاظم ، محمد أمين بن محمد علي مرداد ، أحمد ابن علي نجار ، عبد الوهاب بصراوي ، عمر باجنيد ، يوسف الجبرتي ، بشار أفندي من مهاجري ودين ، محمد علي بن حسب الله ، عمر بن سالم ابن عمر العطاس ، عبد الهادي بن محمد الكتبي ، حسن الحبشي ، حسن المنشد ، سليمان قاضي ، عبد الله بن عمر باروم ، عبد الرحمن بابصيل(١) .

وقد أشار سنوك هرجرونجه الذي زار مكة في عام ١٣٠٢هـ (١٨٨٥ م) إلى هذه القائمة التي نشرتها سالنامة عام ١٣٠٣ هـ وشك — كما ذكر من قبل — في صحة ما ورد فيها من تعداد لمدرسي الحرم المكي قائلا : « انه لا يعول على هذه البيانات الرسمية ، لأن كثيراً ممن وردت أسماؤهم فيها قد سُموا مدرسين لمجرد كون الوالي قد أراد أن يمنحهم راتباً من الأموال التي خصصت للانفاق على التعليم . وإذا ما تركنا جانباً هؤلاء الذين دُعوا مدرسين من أجل الراتب فحسب ، فإن مجموع أساتذة الحرم المكي يتراوح بين خمسين وستين »(٢) .

وعندما تحدث سنوك هرجرونجه عن الأحوال المادية لعلماء الحرم المكي في هذه الفترة قال بأنهم يعتمدون على موارد مالية مختلفة ، فمنهم من يعتمد

(١) ص ٧١ — ٧٤ .

(٢) كتابه السابق ، ص ١٨٣ .

على أعمال أخرى غير التدريس ، وبعضهم ممن يتسم بالصلاح أو يمتاز بسعة العلم يتلقى أعطيات سخية من أغنياء الطلاب أو من مقدري ذوي العلم والتقى . كما أن أغنياء الحجاج — ولا سيما الهنود — كانوا يمنحون هؤلاء العلماء مبالغ نقدية كبيرة . وقد أضاف سنوك هرجرونجه إلى ذلك قوله بأن جميع أساتذة الحرم النظاميين ينالهم شيء من دخل الأوقاف الخيرية ، وأن لكل العلماء المدرسين مرتبات سنوية من النقود والقمح يتلقونها من خزينة الولاية ، ولكنه أشار إلى أنه كان من الصعب في السنوات الشداد الأخيرة أن تصرف كل هذه المرتبات ، ولذلك فإن العلماء كانوا يضطرون إلى بيع حوالاتهم للوسطاء بأقل من نصف قيمتها ، إذ كثيراً ما وجدوا الخزينة فارغة عند ذهابهم إليها(١) .

وفي عام ١٣١٨ هـ (١٩٠١ م) زار إبراهيم رفعت مكة المكرمة ، وأورد في حديثه عن عدد المدرسين في الحرم المكي نفس العدد الذي أوردته من قبل سالنامة عام ١٣٠٣ هـ ، ولكنه قال بأن معظم هؤلاء المدرسين متبرعون ، وأن عدد من يتقاضون راتباً هو أربعة وأربعون مدرساً تتراوح مرتباتهم بين خمسمائة ومائة قرش(٢) .

ويبدو أن الأحوال المالية لعلماء الحرم المكي قد ازدادت ضيقاً بعد ذلك ، إذ نشرت جريدة « شمس الحقيقة » في سنة ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) رسالة منسوبة إلى مدرس من مدرسي الحرم المكي تحدث فيها كاتبها عن حال علماء الحرم وشكا من ضيق موارد رزقهم . ومما قاله مخاطباً محرر الجريدة : « ... لا يخفى على جنابكم أن العلماء وطلبتهم في المسجد الحرام الذين هم من

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٧٣ — ١٧٤ .

(٢) كتابه السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٠ .

جملة القائمين بفرض الكفاية عن المسلمين وهو تدوين العلوم الشرعية والاشتغال بالتأليف والتدريس ، من منذ أعوام في بلد الله الحرام لم يزالوا متشوفين إلى ما يسد رمقهم من صدقات المتصدقين واجارة أنفسهم في أداء فرض الحج عمن لم يبلغه . وهم في عيشة ضيقة لم تلتفت إليهم الدولة بشهرية من أوقاف الحرمين كما التفتت لأهل البصرة وبغداد والشام ، فرتبت لأقل عالم منهم شهرياً نحو الخمسة الليرات ، فأدى ذلك إلى يأس العلماء والطلبة الوطنيين النافعين للوطن لما بلغ غلاء الأقوات وغيرها إلى ما هو مشاهد اليوم ، وقلّت الصدقات والاحسانات إليهم ، بل اضمحلت فكاد أن يذهب العلم وطالبوه . ولتمام الدليل الذي أقمتموه في صحيفتكم الحرة أنها منسوبة لطلبة العلم ، نرجو أن تنادى فيها بأعلى صوتك بحي على الفلاح ، وتستلفتوا أنظار الدولة بالتوجه للعلم والعلماء وطلبتهم ، فيعينونهم بمرتب شهري يصرف نظرهم عن الصدقات ، ويبعثهم على التوجه التام للعلم ، وطبع مؤلفاتهم فيه المناسبة لهذا الزمان . وهل الأوقاف الجمة على الحرمين الشريفين كان وقفها على موضوع غير هذا الموضوع الذي هو أهم موضوع ، فيتم المقصود بتأسيس المدارس ، وتعليم العلم والصنائع ، وتحيا البلاد وأهلها »(١) . انتهى .

وقد أكد محمد لبيب البتنوني الذي زار مكة في عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) ضعف الموارد المالية لعلماء الحرم المكي ، وذكر ما سبق أن أشارت إليه سالنامة ولاية الحجاز من أن المرتبات السنوية التي تصرفها الدولة لهم تتراوح بين مائة وخمسمائة قرش عثماني(٢) .

وحين أصدرت السلطات الرسمية « نظام التدريس الجديد بمسجد مكة المحمية » في عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٣ م) أكدت هذه الحقيقة ، وأشارت إلى

---

(١) جريدة شمس الحقيقة ، عدد ٧ (١٣٢٧/٣/٧ هـ - ١٩٠٩/٣/٢٩ م) .

(٢) كتابه السابق ، ص ٦٠ .

ما كان يعانيه علماء الحرم المكي من ضيق في الرزق ، فقالت بأنه قد شغل « غالب العلماء بالمسجد الحرام عن التدريس وتعليم الطلبة الكرام لضيق معيشتهم وكثرة عيلتهم حتى خشي مع ذلك أن يقل التدريس والمدرسون ، بل خيف مع ذلك أن يضمحل العلم والمعلمون »(١) . ومع أنه قد أُزيد بهذا النظام أن يرفع من مستوى معيشة العلماء في المسجد الحرام ، فإن من خصص لهم مرتب شهري من هؤلاء العلماء لم يتجاوز خمسة عشر مدرساً ، أما بقية مدرسي الحرم فيبدو أنهم قد ظلوا معتمدين على مساعدات المحسنين ، إذ ورد في هذا النظام – كما ذكر من قبل – أن « الصدقات الواردة تقسم على جميع المدرسين والملازمين »(٢) .

ويظهر أن ما كان يعاني منه علماء الحرم المكي من ضيق ذات اليد قد استمر خلال الحرب العالمية الأولى ، إذ تحدث عمر عبد الجبار عن حال هؤلاء العلماء في تلك الفترة فقال : « ولم يكن للمدرس راتب من الحكومة ، ولا ينتظر من طلابه صدقة ولا زكاة ولا معونة لأن تعليمه كان لله وفي سبيل الله ، ولذلك مات معظم علماء المسجد فقراء لم يتركوا سوى الذكر الحسن »(٣) .

◇◇◇◇◇◇

---

(١) الطوالع السنية في نظام التدريس الجديد بمسجد مكة المحمية ، ص ٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠ .

(٣) كتابه السابق ، ص ١٦ .

ميزانيـــة التعليم

لقد بلغ ما خصص للمعارف في ميزانية ولاية الحجاز لعام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) ٥٤٠٨٦ قرشا(١) . ولم يزد هذا المبلغ في عام ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧م) إذ ورد هو نفسه في ميزانية الولاية التي نشرت حينذاك(٢) .

ورغم أنه قد وجد بعد اعلان الدستور العثماني في عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨م) شيء من النشاط العلمي في ولاية الحجاز ، إلا أنه يبدو أن ميزانية « دائرة المعارف » في هذه الولاية كانت ضعيفة حينئذ ، ذلك لأنه قد كثر ما كانت تنشره الجريدة الرسمية « حجاز » من مقالات تدعو المواطنين إلى إنشاء المدارس وتشجيع حركة التعليم(٣) ، كما أن مدرسة الصناعة لم تفتتح بمكة المكرمة في عام ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) إلا بعد أن جمعت لها التبرعات(٤) ، وأُمنت بعض نفقاتها من مصادر أُخرى غير دائرة المعارف ، فخصص لها مبلغ ٥ ٪ من واردات البلدية في مكة ، وعين لها كذلك ما زاد من واردات مطبعة الولاية(٥) .

---

(١) سالنامة ولاية الحجاز (١٣٠٣ هـ) ، ص ١٠٥ .

(٢) المصدر نفسه ، (سنة ١٣٠٥ هـ) ، ص ٢٤١ .

(٣) انظر مقالة أمين سر الولاية أبي الثريا سامي « مطلع أنوار المعارف » جريدة حجاز ، عدد ٣ (١٣٢٦/١٠/٢٩ هـ - ١٩٠٨/١١/٢٤ م) . وانظر مقالتي عبد الملك خطيب « أهل بعد الدستور عذر » ، المصدر نفسه ، و « دعا داعي الوطن فهل من مجيب » ، المصدر نفسه ، عدد ٥ (١٣٢٦/١١/١٨ هـ - ١٩٠٨/١٢/١٢ م) .

(٤) المصدر نفسه ، عدد ٦٠ (١٣٢٨/٧/٢٨ هـ - ١٩١٠/٨/٥ م) .

(٥) المصدر نفسه ، عدد ٥٣ (١٣٢٨/٣/٢٨ هـ - ١٩١٠/٤/٩ م) .

وقد صرفت حينئذ بعض المبالغ النقدية من أجل شراء المباني المدرسية وإنشائها ، فاشترى وكيل الولاية داراً بالمعلى بمكة بمبلغ ألف وخمسمائة ليرة لتكون مقراً للمدرسة الصناعية(١) . وفي عام ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) أشار م. راغب في إحدى افتتاحيات جريدة « حجاز » إلى ما تنويه الحكومة من من اهتمام بالمباني المدرسية ، فقال بأنه تقرر إقامة مبنيين حديثين لمدرستي بني مالك والرويس الابتدائيتين بجده ، وأضاف بأنه قد خصص لبناء كل واحدة منهما مبلغ ثلاثة وأربعين ألف قرش . كما ذكر بأنه قد تقرر شراء دار للمدرسة الابتدائية في النزلة بجده ، وأن « الكشف جار لانشاء طبقة ثانية على المدرسة الابتدائية بالطائف »(٢) . وفي حوالي عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) شرعت الحكومة العثمانية في تشييد مبنى لكلية صلاح الدين الأيوبي التي تقرر تأسيسها في المدينة المنورة ، ولكن العمل فيها مالبث أن توقف في عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م) بعد اتمام الدور الأرضي وذلك بسبب الحرب العالمية الأولى(٣) .

◇◇◇◇◇◇

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه ، عدد ١٣١ (١٣٣١/٧/١ هـ - ١٩١٣/٦/٦ م) .

(٣) عثمان حافظ ، مقالته السابقة .

الفصل الخامس

الوسائل الثقافية



المكتبات

وجد إلى جانب المنشآت التعليمية التي سبق ذكرها وسائل ثقافية أُخرى كالمكتبات والصحف والمطابع . وقد كانت المكتبات الخاصة والعامة مظهراً أساسياً من مظاهر الحياة الروحية في مكة والمدينة . وجاء في الاحصاء الرسمي الذي أصدرته ولاية الحجاز في عام ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ – ١٨٩٢ م) أن بمكة المكرمة مكتبتين(١) . وحين زار محمد لبيب البتنوني مكة المكرمة في عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) تحدث عن مكتبتي مكة ، مكتبة شرواني زاده محمد رشدي باشا ، ومكتبة الحرم التي أسسها السلطان عبد المجيد ، فوصفهما بأنهما مكتبتان بسيطتان تحويان كتباً في النحو والفقه والأدب والتاريخ ، وقال بأن فيهما بعض الكتب التي كتبت بالفارسية والأوردية والتركية والجاوية(٢). وقد وجد بعد ذلك شعور بالحاجة إلى تطوير مكتبة الحرم المكي ، إذ نشرت جريدة « حجاز » مقالة عن هذه المكتبة ، وأوردت قائمة بالكتب التي أهداها إليها والي الحجاز ، وحثت القراء على أن يقتدوا بالوالي فيزودوا المكتبة بهداياهم(٣) .

أما المدينة المنورة فقد ذكرت « سالنامة ولاية الحجاز » التي صدرت في سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ – ١٨٩٢ م) أن بها سبع عشرة مكتبة . وقد أوردت هذه السالنامة البيان التالي الذي فصلت فيه عدد المصاحف والكتب التي كانت موجودة حينئذ في الروضة وفي مدارس المدينة ومكتباتها :

---

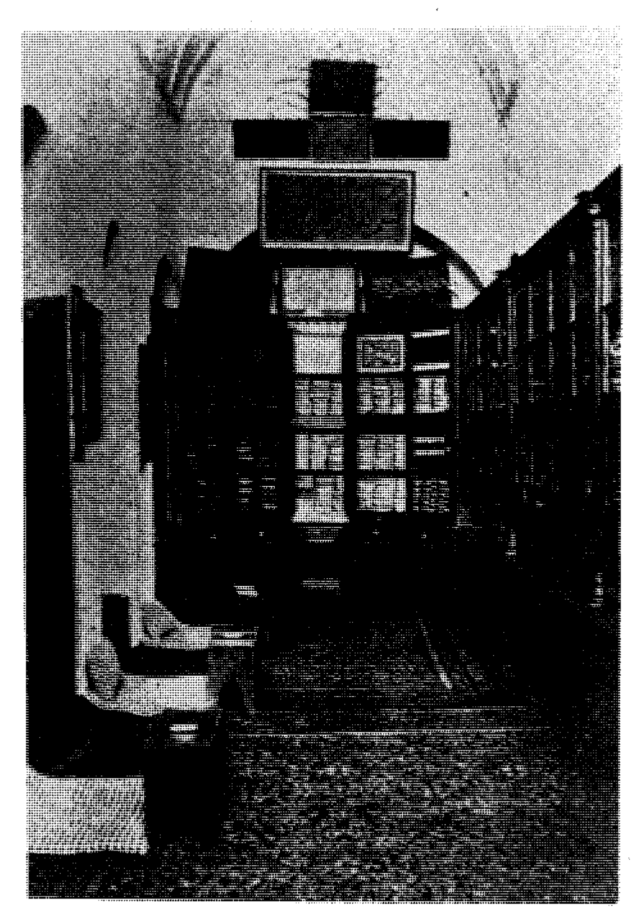
(١) سالنامة ولاية الحجاز (سنة ١٣٠٩ هـ) ، ص ١٨٤ .

(٢) كتابه السابق ، ص ٥٨ – ٥٩ .

(٣) عدد ١٠٩ (١٣٣١/١/٢٣ هـ – ١٩١٣/١/٢ م) .

عدد	
١٠٨١	المصاحف الشريفة الموجودة بالروضة المطهرة .
٤٥٦٩	مكتبة مدرسة السلطان محمود خان
١٦٦٩	مكتبة مدرسة السلطان عبد الحميد خان الأول .
٢٠٦٣	مكتبة مدرسة بشير أغا .
١٢٤٦	مدرسة الشفا التي أنشأها فيض الله أفندي شيخ الإسلام الأسبق .
٥٤٠٤	مكتبة عارف حكمت بك شيخ الإسلام .
١٢٦٩	مكتبة مدرسة عمر أفندي قره باش .
٥٩٣	مكتبة مدرسة مصطفى أفندي ساقزلي .
١٥٨	مكتبة أمين باشا شيخ الحرم السابق .
٤٦١	مكتبة مدرسة مصطفى أفندي المسماة بالاحسانية .
١٢٩	مكتبة الشيخ عبد الغفور أفندي البخاري .
١١٠٠	مكتبة تكية الشيخ مظهر أفندي .
١٠٠	مكتبة مدرسة حسين أغا ناظر التكية المصرية السابق .
١٠٠	مكتبة مدرسة أمين أفندي الفنايرجي .
٢٠٦	مكتبة محمد ثروث أفندي .
١٠٥٠	مكتبة أحمد البساطي .
١٥٧	مكتبة مدرسة الكبلي الناظر .
٥٠٠	مكتبة سليم بك .
٢١٨٥٥	المجموع [١] .

(١) ص ٣٠٦ – ٣٠٨ . ورد في هذه السالنامة أن مجموع هذه الكتب (٢٢,٩١٤) ، ولكن الجمع الصحيح هو ما ورد آنفاً .



مكتبة السلطان محمود في المدينة المنورة كما صورها البتنوني سنة ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) .

وحينما زار محمد لبيب البتنوني المدينة المنورة في عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩م) رأى بعض مكتباتها كمكتبة عارف حكمت التي أُعجب بنظامها ونفيس مقتنياتها، وأورد عدد الكتب الموجودة فيها وفي بعض المكتبات الأخرى ، ولكن ماذكره من أعداد مشابه لما ورد في سالنامة عام ١٣٠٩ هـ(١) . وكذلك فعل إبراهيم رفعت ــ الذي زار المدينة في شهر محرم ١٣١٩هـ والذي طبع كتابه مرآة الحرمين في عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) ــ إذ أورد بياناً مفصلا بعدد مكتبات المدينة وما تحويه من كتب(٢) ، ولكن هذا البيان يشبه ما جاء في سالنامة عام ١٣٠٩هـ من حيث أسماء المكتبات وعدد الكتب ، أما ما يبدو من اختلاف بينه وبين السالنامة في عدد الكتب الموجودة في مكتبة السلطان محمود التي قالت السالنامة بأنها « ٤٥٦٩ » والتي ذكر رفعت بأنها « ٤٥٩٦ » فربما كان ذلك بسبب تطبيع وقع في كتاب رفعت قلب الرقم « ٦٩ » إلى « ٩٦ » . ومما يؤيد هذا ما ذكره المؤلف من أن مجموع ما تحويه مكتبات المدينة « ٢١٨٥٥ » كتاباً ، والحقيقة أن هذا المجموع لا يكون صحيحاً إلا إذا كان عدد الكتب في مكتبة السلطان محمود « ٤٥٦٩ » . ومهما يكن ، فان من المحتمل أن يكون البتنوني ورفعت قد اعتمدا على احصاء قديم يشبه ما استقت منه السالنامة بيانها ، أو أن يكونا قد تأثرا بالسالنامة دون أن يشيرا هنا إلى ذلك ، ومما يعزز الفرض الأخير هو أن سالنامة ولاية الحجاز كانت من المصادر التي اعتمدا عليهـــا في كتـــابيهما(٣) .

◇◇◇◇◇◇

---

(١) كتابه السابق ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥ .

(٢) كتابه السابق ، ج ١ ، ص ٤٢٣ .

(٣) انظر البتنوني ، كتابه السابق ، ص ٨٢ . ورفعت ، كتابه السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ .

المطـابع والصحف

وبالإضافة إلى هذه المكتبات فان مطبعة الولاية أولى مطابع ولاية الحجاز قد أُنشئت بمكة المكرمة في عام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣ م) . وقد قامت هذه المطبعة بطبع عدد من مؤلفات علماء الحرمين الذين كانوا ينشرون كتبهم في مصر من قبل(١) . وبلغ ما أتمت مطبعة الولاية طبعه في أقل من ثلاث سنوات من تاريخ إنشائها خمسة وأربعين كتاباً(٢) .

وفي عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) أُنشئت في مكة المكرمة المطبعة الماجدية ومطبعة شمس الحقيقة ، كما أُسست بجدة في العام نفسه مطبعة الاصلاح . وفي سنة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) أُنشئت في المدينة المنورة المطبعة العلمية . وقد أسهمت هذه المطابع مع مطبعة الولاية في انعاش الحركة الفكرية في ولاية الحجاز فصدرت في عامي ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) و ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) سبع صحف هي : حجاز ، وشمس الحقيقة ، وشمس حقيقت ، والاصلاح الحجازي ، وصفا الحجاز ، والرقيب ، والمدينة المنورة(٣) . كما شاركت المطبعة الماجدية ومطبعة الاصلاح والمطبعة العلمية ومطبعة الولاية في طبع المزيد من المؤلفات المتنوعة ونشر الكتب التي قام علماء مكة والمدينة وجدة بتأليفها .

وكان القراء في ولاية الحجاز يطالعون الصحف التي كانت تصدر خارج

---

(١) سنوك هرجرونجه ، كتابه السابق ، ص ١٦٥ .

(٢) انظر سالنامة ولاية الحجاز سنة ١٣٠٣ هـ ، ص ٢٠٢ – ٢٠٤ .

(٣) للاطلاع على مزيد من التفصيل حول هذه المطابع والصحف انظر ما أورده المؤلف عن هذا الموضوع في كتابه « الصحافة في الحجاز ١٩٠٨ – ١٩٤١ م » .

ولايتهم ، فقبل عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) كانت تصل إلى الحجاز بعض هذه الجرائد مثل « الجوائب » من استانبول وجريدة « بيروت » و « ثمرات الفنون » من لبنان . أما بعد عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) فقد ازداد انتشار الصحف المصرية في ولاية الحجاز ، وصارت « المؤيد » و « الأهرام » و « المقطم » وغيرها مما يرد إلى هذه البلاد(١) .

◇◇◇◇◇◇

---

(١) محمد حسين نصيف : « بعض ذكرياتي من قبل ربع قرن » ، مجلة المنهل ، عدد ٨ (شعبان ١٣٦٩ هـ – مايو ١٩٥٠ م) .

مجالس العلمـــاء

وإلى جانب هذه الوسائل الثقافية المتنوعة كانت لبعض العلماء في بداية هذا القرن الهجري مجالس يلتقي فيها رجال العلم وطلابه ، ويناقشون فيها مختلف المسائل العلمية . ففي مكة المكرمة حيث كانت الدراسة في الحرم المكي تعطل في ليالي الثلاثاء والجمع وأيامها كان العلماء وطلابهم يفرغون – كما قال الشيخ صالح شطا – « إلى اقتناص السمر وعقد المجالس والأندية العلمية والأدبية في دورهم ، وكان من أبرز تلك الأندية وأحفلها بالسمر العلمي والأدبي دار السيد عبد الله دحلان رحمه الله ، ودارنا ، حيث كنا نجتمع فيها ونتطارح البحوث العلمية ، والنقل الأدبية ... فنقضي السمر ، نتنقل بالبحوث الطريفة ، والطرائف الشعرية ، وكنا لا نقتصر على إقامة مجالسنا وأنديتنا في دورنا ، فكنا نذهب كثيراً إلى ضواحي مكة نحيي تلك المجالس فيها بالعلم والأدب ، وهذا دأبنا سمر وعلم وأدب ، إلى أن حل علينا الدستور العثماني فتفرّق شمل تلك المجالس إلى الاعتكاف على قراءة الجرائد والمجلات ، فالتفتنا إلى السياسة – نعوذ بالله من السياسة ومشتقاتها – حيث شغلتنا عن مجالسنا(١) » .

ومن بين هذه المجالس التي كانت تزخر حينئذ بالعلماء والأدباء مجلس عالم المدينة المنورة الشيخ عبد الجليل برادة ، ومجلس الشيخ صالح كمال ، ومجلس السيد أبي بكر شطا ، ومجلس الشيخ حسن الحبشي ، ومجلس الشيخ

---

(١) « ندوة المنهل تجديد لمجالس العلماء والأدباء في مطلع هذا القرن » ، مجلة المنهل ، عدد ٦ (جمادى الثانية ١٣٦٧ هـ – مايو ١٩٤٨ م) .

محمد سعيد بابصيل ، ومجلس السيد أحمد شطا ، ومجلس الشيخ محمد حسين الخياط ، ومجلس الشيخ شعيب ، ومجلس الشيخ عابد مفتي المالكية ، ومجلس الشيخ أحمد الخطيب ، ومجلس الشيخ صالح بافضل، ومجلس الشيخ حسب الله ومجلس السيد علوى السقاف ، ومجلس السيد عبد الله الزواوي ، ومجلس الشيخ أحمد أبو الخيور ، ومجلس الشيخ علي المالكي ، ومجلس السيد عباس المـــالكي(١) .

ولاشك في أن هذه المنتديات قد قامت مع تلك المكتبات والمطابع والصحف بدور مهم في انعاش الحياة الفكرية في ولاية الحجاز ، وشاركت المراكز التعليمية التي كانت موجودة حينئذ في بث الوعي وتنوير الأذهان .

◇◇◇◇◇◇

---

(١) المصدر نفسه .

الفصل السادس

مستوى التعليم ومـدى انتشاره

نظرُ الباحثين إلى التعليم بمكة والمدينـــة

ليس من السهل على المرء أن يقوم المستوى الذي وصل إليه التعليم في هذه الحقبة ، أو يحدد المدى الذي بلغه انتشار العلم بين الناس في مكة والمدينة ، وذلك لقلة ما يوجد الآن من معلومات مفصلة عن المناهج والنظم التي كانت تسير عليها المدارس هناك ، وندرة ما سجل من احصاءات وحقائق حول انتشار التعليم .

ورغم ذلك فإن من عنوا بالحديث عن التعليم في مكة والمدينة قد أتوا ببعض المعلومات والملاحظات التي تلقي الضوء على هذا الموضوع . ففي موسم الحج من عام ١٢٢٩ هـ (١٨١٤ م) زار المستشرق السويسري « جون لويس بيركهارد » John Lewis Burkhardt الحجاز متنكراً وكتب عن زيارته هذه كتابة لا تخلو من تعصب ضد الأتراك والمسلمين . وقد تحدث عن قلة المدارس في مكة ، وعن ضعف المستوى العلمي فقال : « إن لدي من الأسباب ما يكفي للتأكيد بأن التعليم في مكة أقل بكثير في الوقت الحاضر حتى في العلوم الاسلامية مما يوجد في أي مدينة تشبهها في عدد السكان من مدن سوريا أو مصر ... وتختلف مكة عن سائر المدن العثمانية من حيث أنه لا توجد بها مدرسة عامة واحدة تلقى فيها المحاضرات . إن الحرم هو المكان الوحيد الذي يوجد فيه أساتذة الدراسات الاسلامية ، وهو كذلك المكان الذي تعقد فيه الدروس التي يتعلم فيها التلاميذ القراءة والكتابة . وفي الحرم يشرح بعض العلماء بعد صلاة الظهر عادة كتباً دينية لعدد قليل من الطلاب يتكون معظمهم من الهنود والملايويين والافريقيين والحضارمة واليمنيين ... أما المكيون الذين

يرغبون في رفع مستواهم العلمي فانما يذهبون إلى دمشق أوالقاهرة ، وكثيراً ما يجد المرء عدداً كبيراً ممن التحق منهم بالأزهر . وتشبه المحاضرات التي تلقى في الحرم تلك التي توجد في المدن الإسلامية الأخرى ، فهي تلقى مجاناً ، وتدوم كل محاضرة ساعة أو ساعتين ، ويستطيع أي شخص يرى في نفسه القدرة أن يحاضر في الحرم سواء كان تابعاً له أم لا ... أما العلوم التي تدرس في الحرم فهي — كالعادة — التفسير والحديث والفقه . ولم تكن هناك — خلال إقامتي — دروس في النحو أو المنطق أو البلاغة أو التوحيد ، وقد علمت بأن الفية ابن مالك في النحو تدرس في بعض الأحيان . ومهما يكن ، فان المكيين الذين أجادوا علوم اللغة العربية يدينون بذلك لدراستهم في القاهرة »(١) . انتهى

ولم يكن التعليم في المدينة أحسن حالا في نظر بيركهارد من التعليم في مكة إذ قال : « ويبدو في الوقت الحاضر أن التعليم في المدينة أقل وجوداً مما في مكة ، فلم أر خلال زياراتي للمسجد النبوي أي عربي يدرّس فرعاً من فروع المعرفة ، ولم يكن هناك سوى بعض الحجاج الأتراك الذين كانوا يشرحون بلغتهم كتباً دينية لعدد نزر من المستمعين ، ثم يأخذون بعد ذلك في جمع مايجود به هؤلاء المستمعون من نقود زهيدة ليستعينوا بها على نفقات عودتهم إلى بلادهم . وقد علمت بأن هناك محاضرات عامة تلقى في مدرسة تسمى المدرسة الحميدية ، ولكني لم أجد من الفرص ما يمكنني من التأكد من ذلك »(٢) .

ويبدو أن مما جعل بيركهارد يصور التعليم في مكة والمدينة بهذه الصورة هو أنه قدم إليهما في موسم الحج حيث تعطل الدراسة ، ويكف علماء الحرمين عن إلقاء المحاضرات . وقد أشار سنوك هرجرونجه إلى هذه الحقيقة حين رد

---

(١) Travels in Arabia, PP. 211-12.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٤٨ — ٣٤٩ .

على بيركهارد واتهمه بالمبالغة وعدم الدقة ، فقال بأن من يأتي إلى مكة في موسم الحج لا يستطيع أن يراها على حقيقتها ، وأن بيركهارد لم ير علماء الحرمين لأنه جاء في وقت كانت الدراسة فيه معطلة في المسجدين الشريفين(١) .

ولقد أتى ما كتبه سنوك هرجرونجه — الذي قضى ستة أشهر من عامي ١٨٨٤ و ١٨٨٥ م في مكة والذي كان أكثر تقديراً للمجتمع المكي — مخالفاً لما قاله بيركهارد ، ومصوراً الدراسة في الحرم المكي بصورة أكثر اشراقاً ، فقد قال في ختام حديثه المفصل عن التعليم في مكة : « ... إذا ما استقرينا تواريخ مكة — التي قلما تهتم بتاريخ الثقافة — فإن باستطاعتنا أن نستنتج بشيء من التأكيد أن مثل هذه الحياة العلمية التي وصفنا كانت موجودة في مكة منذ عدة قرون ... فلقد أخرجت مكة في كل عصر من العصور الاسلامية رجال علم بارزين ، وكانت حلقات العلوم الشرعية فيها من أحسن الحلقات على مر القرون ، وقد اجتمعت في الوقت الحاضر عدة أسباب لتجعل من المسجد الحرام مركزاً علمياً فريداً للعالم الاسلامي كله »(٢) .

وحيث أن محمد لبيب البتنوني قد زار مكة والمدينة في موسم الحج من عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩م) فقد جاء ما كتبه عن المسجدين الشريفين مشابهاً لما قاله بيركهارد من حيث التقليل من شأن الدراسة فيهما إذ قال عن الحرم المكي : « ... ويدرس في الحرم الشريف بعض العلوم العربية والتفسير على الطريقة القديمة العقيمة ، ويقدر عدد الطلبة ببضع مئات جلهم من الجاوة الذين يفرُّون إلى هذه البلاد من المظالم التي تتساقط على رؤوسهم من حكومة بلادهم ، فتراهم يشتغلون وقت الدرس في الدراسة ووقت الفضاء منها يعملون

---

(١) كتابه السابق ، ص ٢١١ — ٢١٢ .

(٢) المصدر نفسه .

فيه عملا يقوم بحياتهم . ويبلغ عدد المدرسين العاملين نحو الثلاثين ، وعنايتهم بالتعليم قليلة جداً ، وذلك لقلة موارد الارتزاق ، ولأن مرتباتهم التي تصرف لهم من طرف الدولة لا تقوم بأودهم »(١) . وحينما تحدث البتنوني عن المدينة المنورة قال : « وليس في المدينة من المدارس ما يستحق الذكر ، إلا أن فيها سبعة عشر مكتباً لتعليم مبادىء العلوم البسيطة ، والذي يدرس في الحرم شيء بسيط من الفقه والتفسير »(٢) .

ويظهر أن ما ذكره البتنوني عن الحرمين الشريفين لم يكن سوى ملاحظات عابرة لم تبن على مشاهدة متأنية أو بحث دقيق ، ذلك لأن الحرمين قد حفلا في هذه الفترة بالعلماء الذين تضلعوا من علوم الشريعة واللغة العربية ، فحين ترجم المرحوم عمر عبد الجبار لعلماء الحرم المكي في هذه الحقبة ذكر عدداً يفوق كثيراً ما أتى به البتنوني ، وصوّر مستوى التعليم في الحرم بصورة أكثر انصافاً(٣) . كما أن الأستاذ جعفر فقيه قد عد – كما ذكر من قبل – واحداً وستين عالماً من علماء المدينة ومدرسي المسجد النبوي في العهد العثماني(٤) .

وقد صور الشيخ صالح شطا النشاط العلمي في الحرم المكي في مطلع القرن الرابع عشر الهجري بصورة مماثلة لما ذكره عمر عبد الجبار ، ولكنه أشار إلى قلة ما كان يستفيده الطلاب من حلقات الدرس حيث قال : « ... كان المسجد الحرام يزخر بالعلم والعلماء وطلابهم يدرسون فيه العلوم الدينية والأدبية واللغوية والتاريخية فوق ما هو زاخر بحفظة القرآن المجيد الذين انتثروا في جنباته من باب العمرة إلى باب الصفا ، تسمع لهم دوياً كدوي النحل لأنهم

---

(١) كتابه السابق ، ص ٦٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥٥ .
(٣) انظر كتابه السابق .
(٤) انظر تقريره السابق .

يعدون بالألوف ، في الوقت الذي يطالعك فيه المسجد بعشرات الحلقات من الدروس وطلابها الذين يعدون كذلك بالألوف يزخر بهم المسجد ويعج في جميع الأوقات ، وهكذا كان أغلب من في مكة من أهلها والوافدين عليها يطلبون العلم ، ولو كانت الدراسة في ذلك الوقت تسير على مناهج قويمة وطرق فنية لكان في ذلك خير كثير ، ولكان الانتاج أقوى ، والثروة العلمية أعظم ، ولكن طرقها العقيمة جعلت النجاح فيها محدوداً ، والثروة العلمية ضئيلة ، بالنسبة لكثرة الطلاب »(١) . وحين تحدث الأستاذ عبد الحق نقشبندي عن العلم في المسجد النبوي في هذه الفترة أتى بما يشبه ما قاله الشيخ صالح شطا من حيث أن الأعداد الكثيرة من طلاب العلم في المسجد النبوي الذين كانوا يقدرون بالآلاف لم يستفيدوا الفائدة المرجوة ، وقد عزا النقشبندي ذلك ــ كما ذكر من قبل ــ إلى أن الدراسة كانت « بغير نظام مدون أو إدارة مسؤولة أو مراقبة أو اختبارات منظمة »(٢) .

ومهما يكن الأمر فقد قام المسجدان الشريفان حينئذ بدور مهم في حفظ علوم الدين واللغة العربية ، وإيجاد جو علمي عاش في ظله من تفرغ للدرس والتحصيل . ولم يكن علماء الحرمين بأقل مستوى من زملائهم في الأقطار الاسلامية الأخرى ، ولكن الذي كانت تعاني منه ولاية الحجاز في هذه الفترة هو أن المدارس خارج الحرمين لم تكن من الوفرة بحيث تيسر للناس سبيل المعرفة ، ولذلك فقد ظل العلم محصوراً في مراكز معينة لم يفد منها فائدة مذكورة إلا قلة ممن نذروا حياتهم لعلوم الدين واللغة العربية ، أما السواد الأعظم من الناس فما كانت ظروف العيش لتمكنهم من التفرغ للعلم ، هذا العلم الذي لم يكن يمد صاحبه بوسيلة من وسائل الرزق ، بل كان يؤهله في معظم الأحوال لمهنة التدريس التي كانت تعتبر حينئذ بضاعة كاسدة .

---

(١) مقالته السابقة .

(٢) مقالته السابقة .

نظرة المجتمع إلى التعليم

وإلى جانب ما سبق ذكره من عوامل قللت من استفادة جمهور الناس من التعليم فإنه يبدو أن نظرة المجتمع في ولاية الحجاز إلى من يتفرغ للعلم ويحترف التدريس لم تكن مما يشجع على السعي لتحصيل العلم . وقد أوضح سنوك هرجرونجه وجهة نظر المكيين في أواخر القرن التاسع عشر نحو مستقبل أبنائهم عندما يتمون الدراسة في الكتاتيب فقال : « إذا كان لدى أحد كبار التجار أو الأثرياء عدد من الأبناء فسيسره أن يرى واحداً منهم قد سلك طريق العلماء ، ولكن التاجر سيدرب واحداً من أبنائه على الأقل ليخلفه في تجارته ... أما الآباء الذين يقلون عن هؤلاء في الثراء فإنهم غالباً ما يتمنون في أن يتدرب أبناؤهم على حرفهم أو أعمالهم ، وإذا كان عند أحدهم عدد من الأبناء فإنه يفضل في الغالب أن يرسلهم إلى زملائه لكي يتدربوا أو يساعدوا في هذه الحرف والأعمال . وإذا ما أظهر أحد أبناء الطبقة المتوسطة ميلا خاصاً إلى علوم الدين ، فان الأب يجد أن من غير اللائق أن يرفض تحقيق رغبة ابنه ، ولكن قلما يخفي الكثيرون عدم رضاهم إذا ما أذعنوا لمثل هذه الرغبة ، فمثل هذا التعليم باهظ الثمن ، وصحيح أنه يكسب الشاب شرفاً ، ولكنه لا يأتيه بدخل مادي . ولذلك فإن ما يشغل بال الأسرة هو التفكير في أمر إعالة الابن الطالب عدة سنوات ، وفي أن العلم الذي سيحصله لن يمده بالكفاءة أو الصلابة أو القناعة التي تجعله يقوم بأعباء عمل من الأعمال التي تدر الرزق في مكة . ومهما يكن ، فإنه لا يوجد في الحقيقة إلا قلة من الأبناء ممن يُعَرِّضون آباءهم لمثل هذا العناء »(١) انتهى .

---

(١) كتابه السابق ، ص ١١٩ – ١٢٠ .

وحينما تحدث المرحوم الشيخ محمد حسين نصيف عن أيام دراسته الأولى بجدة في مطلع القرن العشرين أشار إلى ما كان سائداً حينئذ من انصراف عن العلم وعدم تقدير لمن يحترفون التدريس فقال : « كنا نحضر دروس العلم مستمعين ، وفي عام ١٣١٩ هـ كنت بالطائف أحضر درس الشيخ أحمد بن علي النجار عالم الطائف مستمعاً في مسجد الهادي ، فسألني الشيخ أحمد النجار رحمه الله على من أقرأ ، فقلت كنت أحضر الدروس مستمعاً بدون كتاب ، فقال لماذا لاتقرأ بكتاب ؟ فقلت له أنا لا أريد أن أكون « فقي » [معلماً] ، فقال الشيخ : فقي ؟ وكرر مستهزئاً وقال :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والافلاس بالرجل

ورغبني في طلب العلم ، فقلت له إذا رجعت إلى جدة أطلب العلم وأقرأ في الكتب على المشايخ ، فقال فلنبدأ من الآن ، فبحثنا عن كتاب في السوق بالطائف فلم نجد كتاباً للبيع ولا مصحفاً ، فأخرج الشيخ كتاباً من كتبه وقرأت عليه ربع العبادات من كتاب ابن قاسم علي أبي شجاع في فقه الشافعية(١) » . ثم ذكر الشيخ نصيف أنه عاد إلى جدة بعد انتهاء الصيف وقد غير من نظرته إلى طلب العلم ، فبدأ في الدراسة المنظمة على المشايخ هنـــاك(٢) .

وقد أكد الشيخ عبد الحميد الخطيب المدرس بالمسجد الحرام ما كان لدى الناس في هذه الفترة من صدود عن العلم واستهانة بالمتعلمين فقال : « وقد انتهى الأمر في أواخر العهد العثماني إلى تغلب الأمية وتسلط الجهل على العموم حتى غدا المتعلمون عرضة للسخرية والاستهزاء ، وأصبحت نسبة الطلبة في

---

(١) تقريره السابق .

(٢) المصدر نفسه .

حلقات التعليم بالمسجد الحرام والمسجد النبوي من أبناء البلاد لا تكاد تبلغ ٥٪ والباقون من الأعراب المجاورين »[1] .

كما أشار الأستاذ عبد الحق نقشبندي عندما كان يتحدث عن التعليم في المدينة المنورة في آخر العهد العثماني إلى أن من أسباب تأخر التعليم في المدينة في هذه الحقبة « عدم تقدير قيمة التعليم من جانب أهل المدينة ، فكثيراً ما كانت الحكومة تطلب بعثة من الطلاب لتعليمها على نفقتها في سورية أو استانبول فلم يتقدم أحد إلا النزر القليل ... وعلى كل فقد كان أهل المدينة يتخوفون من التعليم العالي خوفاً من الجندية وحمل السلاح »[2] .

◇◇◇◇◇◇

(١) « تطور التعليم بالمملكة العربية السعودية » ، مجلة المنهل ، عدد ١١ و ١٢ (ذو القعدة وذو الحجة ١٣٦٥ – أكتوبر ونوفمبر ١٩٤٦) .

(٢) مقالته السابقة .

انتشـــار الأميـــة

وبالإضافة إلى ما مر ذكره من زهد جمهور الناس في ولاية الحجاز بالعلم وعدم تقديرهم للمتعلمين ، فقد كثرت الإشارة إلى قلة دور العلم وانتشار الأمية بولاية الحجاز في هذه الفترة ، ففي عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) نشر أبو الثريا سامي أمين سر الولاية مقالة اشتكى فيها من ندرة المدارس وانتشار الجهل بين الناس(١) . وكذلك فعل عبد الملك خطيب(٢) وأحمد عزمي(٣) . وحين نشرت الجريدة الرسمية « حجاز » خبر تكوين لجنة لبحث بعض الموضوعات العلمية قدمت الجريدة للخبر بهذا التعليق : « اهتم دولة الباشا المشير والينا الأكرم بأمر المعارف التي هي اليوم في درجة المعدوم بالبلد الحـــرام ... »(٤) .

وقد تحدث الأستاذ بكر شرف عن قلة الجمهور القارئ في مكة المكرمة حوالي عام ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) فقال بأن « ثقافة السواد الأعظم قد كانت

---

(١) « مطلع أنوار المعارف » ، جريدة حجاز ، عدد ٣ (١٣٢٦/١٠/٢٩ هـ — ١٩٠٨/١١/٢٤ م) .

(٢) انظر مقالتيه « أهل بعد الدستور عذر » ، المصدر نفسه ، و « دعا داعي الوطن فهل من مجيب » ، المصدر نفسه ، عدد ٥ (١٣٢٦/١١/١٨ هـ — ١٩٠٨/١٢/١٢ م) .

(٣) انظر مقالته « حديث مع علمائنا الكرام » ، المصدر نفسه ، عدد ٧ (١٣٢٦/١١/٢٨ هـ — ١٩٠٨/١٢/٢٢ م) .

(٤) عدد ١٤ (١٣٢٧/١/٢٠ هـ — ١٩٠٩/٢/٥ م) . وانظر كذلك افتتاحية جريدة حجاز ، عدد ٤٥ (١٣٢٨/١/٢٣ هـ — ١٩١٠/٢/٤ م) .

محدودة لا تتعدى فك الحرف وقراءة العبارة حرفاً حرفاً في تؤدة واناة »(١) .
أما الأستاذ محمد علي مغربي فقد وصف الحياة العلمية بولاية الحجاز في أوائل هذا القرن الهجري قائلا بأن الحجاز كان : « في حالة من الجهل الفاضح والأمية الفاشية »(٢) .

◇◇◇◇◇◇

---

(١) « كانت الصحافة ثم صارت » ، جريدة البلاد السعودية ، عدد ٧٩٠ (١٣٦٨/٤/١ هـ – ١٩٤٩/١/٣٠ م) .

(٢) « ما هو أثر الأدب الحديث في هذه البلاد » . مجلة المنهل ، عدد ٣ (صفر ١٣٥٨ هـ – مارس ١٩٣٩ م) .

التعليم في الحجاز في العهـــد السعودي

ورغم ما أُصيبت به المؤسسات التعليمية بولاية الحجاز في آخر العهد العثماني من ضعف في الوسائل والإمكانات فقد قام المسجدان الشريفان والمدارس الأهلية الخيرية بدور مهم في حفظ التقاليد العلمية التي ورثتها البلاد المقدسة منذ القرون الاسلامية الأولى ، وظلت هذه المعاهد العلمية مناراً يذكر الناس بواجبهم نحو معرفة علوم دينهم ولغتهم ، ويحذرهم من مغبة الانتكاس إلى عصور الجهل والأمية .

وإذا لم تكن الظروف المالية والاجتماعية قد مكّنت العدد الأكبر من أهل الحجاز من أن يتجهوا في آخر العهد العثماني إلى العلم ، ويسعوا إلى تحصيل المعرفة فإنهم قد فعلوا ذلك بعد أقل من عقدين من الزمن حينما أصبح الحجاز جزءاً من المملكة العربية السعودية التي شهدت نهضة علمية شاملة فتحت على إثرها مجالات العمل وفرص العيش الكريم أمام المتعلمين . ولكي يدرك المرء مدى ما حُقق بالحجاز في العهد السعودي في ميدان العلم والمعرفة، فإن من المفيد أن يؤتى هنا باحصاءات اجمالية عن تعليم الذكور بمناطق مكة والمدينة وجدة والطائف في عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) :

أولا – عدد المدارس التابعة لوزارة المعارف ما عدا التعليم العالي والثقافة الشعبية(١) :

المنطقة	الابتدائي	المتوسط	الثانوي	اعداد المعلمين	التعليم الفني	التعليم الخاص	المجموع
جـــدة	٧٥	١٦	٥	١	١	—	٩٨
الطـائف	١١٧	١٧	٣	٢	—	—	١٣٩
المدينـــة	٨٥	٢٣	٥	١	١	١	١١٦
مكـــة	٦٩	١٥	٤	١	—	١	٩٠
المجموع العام	٣٤٦	٧١	١٧	٥	٢	٢	٤٤٣

ثانياً – عدد طلاب المدارس التابعة لوزارة المعارف ما عدا التعليم العـالي والثقافة الشعبية(٢) :

المنطقة	الابتدائي	المتوسط	الثانوي	اعداد المعلمين	التعليم الفني	التعليم الخاص	المجموع
جـــدة	٢٤٩٢٥	٥٢١٠	٢١٥٣	٥٤٥	١٤٠	—	٣٢٩٧٣
الطـائف	١٨٩٧٦	٤١٧٦	١٣٤٩	١٠٣٨	—	—	٢٥٥٣٩
المدينـــة	١٨٢٥٥	٣٥٥٤	٠٩٠٨	٤٥٥	١٤٩	٦١	٢٣٣٨١
مكـــة	٢٣٧٥٧	٥٥٨٩	١٨٣٧	٨٥٣	—	١٠٧	٣٢١٤٣
المجموع العام	٨٥٩١٣	١٨٥٢٩	٦٢٤٧	٢٨٩٠	٢٨٩	١٦٨	١١٤٠٣٦

---

(١) التقرير الإحصائي السنوي لوزارة المعارف ، الرياض ، عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) .

(٢) المصدر نفسه .

ثالثاً — مدارس الثقافة الشعبية[1] :

المنطقة	عدد المدارس	عدد الطلاب
جدة	٣٢	٤٣٥٤
الطائف	٢٧	٢٧٣٢
المدينة	٢٨	٢١٣٩
مكة	٢٧	٢٦٢٢
المجموع العام	١١٤	١١٨٤٧

رابعاً — التعليم الأهلي[2] :

المنطقة	عدد المدارس	عدد الطلاب
جدة	٢٣	٦٢٧٧
الطائف	٤	٣٦٠
المدينة	٥	١٣٧٧
مكة	١٢	١٥١٨
المجموع العام	٤٤	٩٥٣٢

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه . يشمل التعليم الأهلي المرحلة التمهيدية والابتدائية والمتوسطة والثانوية ، والتعليم الديني ، وتعليم اللغات والآلة الكاتبة .

خامساً ـ التعليم العـــالي :

أسمـــاء الكليات	عدد الكليات	عدد الطلاب
كليتا الاقتصاد والآداب في جدة(١)	٢	١٥٩
كليتــا الشريعة والدعوة الاسلاميــة في المدينة(٢)	٢	٥٩٧
كليتا الشريعة والتربية في مكة(٣)	٢	٧٩٠
المجمــوع العــام	٦	١٥٤٦

◇◇◇◇◇◇

(١) التقرير السنوي الثالث ، جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، جدة ، ١٣٩٠هـ (١٩٧٠ م) .

(٢) دليل الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، جدة ، ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) .

(٣) التقرير الإحصائي السنوي لوزارة المعارف ، الرياض ، ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) ، ص ٢٤٦ .

خاتمة

شهدت مكة والمدينة وما حولهما من بلدان ولاية الحجاز ثلاثة أنواع من التعليم في آخر العهد العثماني ، النوع الأول تقليدي موروث وجد في الحرمين الشريفين وحلقات المساجد الأخرى . والنوع الثاني حكومي حديث اتخذ اللسان التركي لغة له . أما النوع الثالث فكان تقليدياً في جوهره ولكنه حاول التجديد وادخال بعض العلوم الحديثة في مناهجه ، وقد وجد هذا النوع الأخير في المدارس الأهلية التي أرادت أن تسد حاجة من أهم حاجات العصر فكانت لذلك وسطاً بين المنهج التقليدي ومنهج المدارس الرشدية والاعدادية التركية التي لم تلق إقبالا من الأهالي . ولقد كان التعليم الذي وجد في الحرمين الشريفين وفي المدارس الأهلية أكثر انتشاراً من التعليم الحكومي ، كما أن فلسفته التربوية كانت أقرب إلى طبائع الناس وميولهم .

وظل التعليم في هذه الفترة مركزاً في مكة والمدينة ، أما الأجزاء الأخرى من ولاية الحجاز فكان حظها من التعليم يعتمد على صلتها بهاتين المدينتين المقدستين ، ولذلك كانت مدينتا جدة والطائف أقل تلك الأجـزاء حرماناً من التعليم .

ورغم أنه قد وجد في ولاية الحجاز حينئذ عدد من المراكز التعليمية ، إلا أن أثرها العلمي كان محدوداً ، ذلك لأنها كانت تعاني من قلة الموارد المالية ، وذلك لأن نظرة المجتمع في هذه الولاية إلى التعليم لم تكن مما يشجع على التزود بالمعرفة ، كما أن التعليم الذي كان موجودا في هذه المراكز لم يكن يعد صاحبه لمهنة من المهن التي كانت تدر الرزق في مجتمع الولاية آنذاك .

ولقد كانت الأمية منتشرة بين الناس ، كما أن كثيراً ممن كانوا يحضرون الحلقات الدراسية في الحرمين وفي المساجد الأخرى لم يستفيدوا الاستفادة العلمية المرجوة ، وذلك لأنهم لم يرتبطوا بهذه الحلقات المفتوحة ارتباطاً منظماً . و في الحقيقة أن من يريد أن يقدر أثر المراكز التعليمية في ولاية الحجاز بحسب كمية الطلاب الذين تخرجوا فيها فإنه سيجد هذا الأثر ضئيلا إذا ما قيس بعدد سكان الولاية ، ولكن الباحث سيزداد تقديراً لهذه المؤسسات العلمية إذا نظر إلى الدور الذي قامت به في الحفاظ على التراث الإسلامي والعربي في الأماكن المقدسة ، وفي تخريج نفر من علماء الشريعة واللغة العربية لم يكونوا بأقل مستوى من زملائهم في أي بلد من البلدان الإسلامية المجاورة . ولا يملك المرء كذلك إلا أن يعجب بهؤلاء العلماء الذين رغم أنهم قد انتسبوا لهذه المراكز العلمية التي كانت تعاني من ضعف في الوسائل المالية والتعليمية إلا أنهم قد بلغوا بفضل صبرهم وجهدهم الشخصي أعلى المراتب في ميدان العلوم الدينية والعربية .

وفي الحقيقة أن الظروف المالية والاجتماعية التي عاشت ولاية الحجاز في ظلها آخر العهد العثماني لم تكن مما يساعد على خلق بيئة علمية نشيطة . ولولا شعور بعض الناس حينئذ بواجبهم نحو دراسة دينهم ولغتهم لاضمحل العلم وندر وجود المتعلمين ، ولكن الحاجة إلى دراسة التراث الإسلامي والعربي قد أبقت على شيء من مظاهر التعليم ، وأوجدت تلك المراكز التعليمية التي قامت بالدور الفكري الذي أتاحته لها الوسائل المالية والتعليمية المحـــدودة .

ولعل أهم أثر للمراكز التعليمية التي وجدت في الأماكن المقدسة في آخر العهد العثماني هو أنها قد أسهمت في اعداد الأذهان للاقبال على العلم فيما بعد ، وذلك حينما عمت البلاد في العهد السعودي بعد أقل من عقدين

من الزمن نهضة علمية شاملة جمعت بين موروث العلم وحديثه ، وفتحت مجال العيش الكريم أمام المتعلمين . لقد تغير في العهد السعودي ما كان لدى مجتمع ولاية الحجاز في آخر العهد العثماني من نظرة تستّهين بالعلم والمتعلمين ، وتغير الأمر كذلك بالنسبة لمن ينصرفون إلى طلب العلم ، إذ ارتقت منزلتهم الاجتماعية وازدهرت أحوالهم المعيشية .

وان من يقارن تلك البداية المتواضعة لمدارس مكة والمدينة وجدة والطائف في آخر العهد العثماني بما صارت إليه في العهد السعودي في عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) مثلا ، سيجد بُعد الشُّقة بين طور البداية ومرحلة التطور ، إذ أن طلاب المكاتب العثمانية الذين كانوا يقدرون بالعشرات قد قفز عددهم إلى مئات الألوف في المدارس والمعاهد والجامعات السعودية ، وإذ أن تلك المدارس العثمانية القليلة المتناثرة قد خلفتها أعداد كبيرة من دور العلم المنظمة التي تبدأ بالدراسة الابتدائية ، وتنتهي بالتعليم العالي .

◇◇◇◇◇◇

نصوص تعليمية

حيث أن تاريخ التعليم في ولاية الحجاز في آخر العهد العثماني ما زال في حاجة إلى مزيد من الايضاح ، وحيث أن المقالات التي كتبت عن هذا الموضوع قليلة مفرّقة ، فقد رأيت أن ألحق هذه الدراسة بعدد من النصوص التعليمية التي كتبها من عاصروا تلك الحقبة من الزمن ، وذلك لكي تساعد في القاء الضوء على الحياة العلمية في الأماكن المقدسة في هذه الفترة ، وتصوير الجو العلمي الذي كان سائداً آنذاك .

* * *

(١)

تأسيس المدارس السليمانية في مكة المكرمة
للامام قطب الدين الحنفي(١)

... ومن آثار المرحوم السلطان سليمان خان بمكة المشرفة المدارس الأربعة السليمانية ، وسبب ذلك أن الأمير إبراهيم أمير اجراء عين عرفات اسكنه الله من الجنة الغرفات عرض على الأبواب الشريفة السلطانية السليمانية وأنهى إلى الأعتاب العلية الخاقانية أن المناسب للشأن الشريف السلطاني وقدره العلي السامي السليماني أن يكون لحضرة السلطان بمكة المشرفة أربع مدارس على المذاهب الأربعة يدرس فيها علماء مكة المشرفة علم الفقه ليكون سبباً لاشتغالهم

---

(١) من كتابه : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص ٢٩٣ - ٢٩٦ .

بعلم الشرع والدين ، ويرتفقون بوظائفها ويكون سبباً لإحياء علم الشريعة ، ويسطر ثواب ذلك في صحائف السلطنة الشريفة ، فأجابه السلطان سليمان المرحوم إلى ذلك وبرزت الأوامر الشريفة السلطانية بعمل ذلك ، وعين لهذه الخدمة الأمير قاسم أمير جدة المذكورة آنفاً وأن يبادر إلى عمل ذلك في أحسن الأماكن اللائقة لبناء هذه المدارس الجانب الجنوبي من المسجد الحرام المتصل به من ركن المسجد الشريف إلى باب الزيادة ... ووضعوا الأساس فتقدم قاضي مكة المشرفة ... ووضع بيده الشريفة الأساس ... وذلك لليلتين خلتا من رجب المرجب سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة ...

وعين المرحوم سليمان عليه الرحمة والرضوان وظائف المدرسين والطلبة وغير ذلك من أوقافه بالشام ، وعين لكل مدرسة خمسين عثمانياً في كل يوم ، وعين للمعيد أربعة عثامنة في كل يوم ، ولكل مدرس خمسة عشر طالباً ولكل طالب عثمانيين ، وللفراش وكذلك للبواب نصف ذلك يجهزها في كل عام ناظر الأوقاف السليمانية بالشام مع الركب الشامي إلى مكة المشرفة فيوزع على المدرسين ، ولم تكمل المدارس الأربع إلا في دولة السلطان الأعظم مالك الممالك الترك والروم والعرب والعجم السلطان سليم خان بن السلطان سليمان خان عليهما الرحمة والرضوان ، فأنعم بالمدرسة المالكية السليمانية وهي رأس المدارس الأربع على سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الاسلام سيد العلماء والموالي العظام قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام مولانا السيد القاضي حسين الحسني أدام الله فوائده على الدوام بخمسين عثمانياً ثم رقاه إلى أن صارت مدرسة بمائة عثماني .

وأنعم بالمدرسة الحنفية السليمانية على مؤلف هذا الكتاب بخمسين عثمانياً في أواسط جمادى الأولى سنة خمس وسبعين وتسعمائة فقرأت فيها قطعة من الكشاف والهداية وقطعة من تفسير المفتي الأعظم مولانا أبي السعود العمادي

بوّأه الله غرفات الجنان ، وأنزل عليه شآبيب المغفرة والرحمة والرضوان ، وقرأت فيها درساً في الطب ودرساً في الحديث وأصوله ، وإني أدرس الآن تكميل شرح الهداية للعلامة الكمال بن الهمام الذي كمله ، لأن مولانا شمس الملة والدين أحمد المعروف بقاضي زاده أفندي ذكر فيه من التحقيقات ما فات ابن الهمام ... فشكر الله صنيعه الجميل ... ولقد أحسن إلي في أيام صدارته ورباني لدى الحضرة السلطانية فرقاني السلطان الأعظم والخاقان الأكرم السلطان مراد خان خلد الله سلطنته مدى الزمان ، فصارت مدرستي بهمته بستين عثمانياً .

وأنعمت السلطنة الشريفة بالمدرسة السلطانية السليمانية الشافعية لاقراء مذهب الشافعية بمكة المشرفة على بعض علماء الشافعية بخمسين عثمانياً ، فدرس فيها كتب فقه الإمام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه ، وأحيا فقه الشافعية بها كما شرطه السلطان سليمان رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح الجنان ، وغمره في الرحمة والاحسان .

وأما المدرسة الرابعة السلطانية السليمانية فقد جعلها المرحوم الواقف لاحياء مذهب الامام أحمد بن حنبل فعدل عنه إلى علم الحديث الشريف وجعلت تلك المدرسة دار الحديث بخمسين عثمانياً ، يقرأ فيها الصحاح الستة ، فرحم الله السلطان سليمان وأثابه على مقاصده الجميلة من اسداء الخيرات واقتناء المثوبات باحياء العلوم الشريفة المطهرة وسائر الباقيات الصالحات أعلى غرفات الجنان والنظر إلى وجهه الكريم في أعلى مراتب السعادات الاخروية الباقيات .

* * *

(٢)

من رسالة في الحث على طلب العلم(١)
للشيخ أحمد بن عثمان بن محمد باعثمان

اعلم أيها الانسان أن مما لايمتري فيه أحد أن كل من على الوجود فانٍ من إنس وملك وجان وغيرهم من بقية الأصناف من الحيوان . واعلم أن ذلك لا يفتقر إلى توضيح ولا بيان لمشاهدته كيف وقد قال تعالى في محكم القرآن كل من عليها فان ، وإنما الشأن كل الشأن البحث عما يؤول إليه الأمر بعد ذلك ، وعما يفاجأ به الانسان من الأهوال ... [ثم أبان المؤلف رحمه الله أن النجاة لا تكون إلا بتعلم العلم الواجب على كل مكلف ، واستشهد بأبيات قالها بعض أهل العلم في فضل العلم وتعليمه] :

ولا يظن أحد وصـــولا قط ... إلى هـــدى ولا سبيلا
إلا إذا بالعلم أحيـــا قلبه ... كي يفعل الخير ويرضي ربه
ويتّقي الله على بصـــيرة ... نافـــذة في الـــدين مستنيرة
فالعلم نـــور واضح مبـــين ... يمنى به القلب ويعلو الدين
والعلم يا هذا أساس التقوى ... والمعقل الدافع شر الأهـــوا
والجهل أصل الشر والهـــلاك ... والنقص في الدين والانتهاك
رأس المعاصي وأساس المنكر ... والعار في الدنيا ويوم المحشر
وليس يبريها ســـوى التعلم ... للعلم بالاتقـــان والتفهم

---

(١) أرخت هذه الرسالة في الثاني من جمادى الآخرة سنة ١٢٩٨ هـ ، وقد نقلها الشيخ علي بن سالم العميري في مؤلفه المخطوط : تراجم علماء جدة من الحضارمة ، ورقة ٢ — ٤ ، (محفوظ في قسم المخطوطات بمكتبة جامعة الرياض) .

ومن يرده الله بالفـــلاح ففهمه في دينـــه يا صاح
ولا يصدنك عن تطلابـــه خوف انعكاس الدهر وانقلابه
والعلم لا يعطـــاه إلا السعدا وليس يعطاه الشقاة والبعـدا
فجاهد النفس ودع هواها وخذ بهـا قسرا إلى تقواها

وقد أكثر العلماء من التصانيف في ذلك وأتوا بما فيه غنية للسالك والناسك ، ويكفي في ذلك لأهل كل مذهب بداية الهداية للغزالي ، غير أنه يحتاج أن يضم إليها بين أصل كل مذهب مختصراً من مختصرات أئمتهم ، ويكفي أن يضم إليها على مذهب الشافعية مختصراً من مختصرات عبد الرحمن بالحاج بافضل الحضرمي المقتصر على ربع العبادات ، ونحو مختصر العلامة أبي شجاع للمحتاج للمعاملات ، فعلى من أراد الخروج من عهدة التكليف بما هو ملزوم بتعلمه من العلم في الشرع الشريف بالعكوف على ذلك تعلما وتعليماً وعملا ، والله الموفق لا رب سواه ، وصلى الله على أفضل أنبيائه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

(٣)

مطلع أنوار المعـارف(١)

بقلم أمين سر ولاية الحجاز أبي الثريا سامي

أيها القراء الكرام ، أتراكم تظنون الظنون في بلاد الله أيها تكون تلك التي كانت مطلعاً لأنوار العلوم ؟ إنني لا يخامرني شك في ذلك ، وإنني أقول والفخر ملء جوانحي انها هي بلد الله الحرام ، هي المشرفة إلى يوم القيام ، هي هذه البقعة المباركة التي كانت قبل اليوم بألف وثلاثمائة سنة وكسور كما يعلم

---

(١) جريدة حجاز ، عدد ٣ (١٣٢٦/١٠/٢٩ هـ - ١٩٠٨/١١/٢٤ م) .

أهل الاحاطة بالتاريخ مهد المدنية ومركز البلاغة ، ومهبط الخطابة وهلم جرا .
أي علماء أنبتت هذه البقعة المقدسة ، وأي بلغاء وخطباء أخرجت للعالم ،
أليس من محصولها أمثال امرىء القيس حامل لواء الشعراء ، وحسان بن ثابت
المؤيد بالروح القدس ، وكثير أمثالهم ممن يضيق صدر الحصر عن تعدادهم ؟
أتعلمون أيها القوم أية دفائن وكنوز كانت مخبوءة في ثنايا هذه الأرض المباركة ؟
ألم تكن هذه الأرض الحجازية معلمة العالم أجمع والمفيضة عليه شوارق الأنوار ؟
اننا إذا أرجعنا البصر إلى ما قبل اليوم بألف وثلاثمائة سنة متفكرين فيما كان
تجيش صدورنا بعوامل من الأسف قاضية فإذا القلوب لدى الحناجر كاظمين ،
ثم لا تزال تلك العوامل تموج وتطغى حتى تكاد تأخذنا في سبيلها فنكون
من المغرقين .

أيها الناس ماذا كنا ، والام صرنا ، وماذا عملنا ، وما سيكون من أمرنا ؟
ألم نكن قبل اليوم بثلاثة عشر قرنا مثال العلم والعرفان ؟ ألم نصبح بعد ثلاثة
عشر قرناً مثال الغفلة والغلظة ، ألسنا الذي رضي لنفسه هذه الحالة ، ألسنا
الذي بحث عن حتفه بظلفه ، وهوى في هوة من الانحطاط هائلة ؟ وياليتنا
مع ذلك اعتبرنا ! .

لا يبلغ الأعداء من جاهـــل   ما يبلغ الجاهل من نفســـه

عباد الله ! قد والله استبدلنا العلم والعرفان بالجهل والخسران ، وصفاء
القلب ونزاهة الطبع بالفسق والفجور ، كما استبدلنا السعي والاجتهـــاد
بالكسل والعطل .

عباد الله ! اننا قد استبدلنا الحياء بالوقاحة ، والعفة بالدناءة ، والشرف
بالخسة ، حتى طوتنا يد الأيام من سجل المدنية إلى سجل الأنعام ، وياليتنا
اعتبرنا بما كان « وما ربك بظلام للعبيد » .

عباد الله ! هلموا نتساءل : ألا نزال نستطرد السير على هذا السياق ؟ ألا نزال نسترشد الجهل والتعصب ؟ .

إذا كان الغـــراب دليل قـــوم يمر بهم على جيف الكلاب

ألا نزال نرضى على أنفسنا البداوة إلى ما شاء الله ؟ ياقوم لنفتكر على أية أرض نحن هنا ؟ ولننظر في صفحات تاريخ الأمة ان صرفنا النظر عن التاريخ العمومي ، لننظر في ذلك ولنفتكر ، وإن تكن حصتنا منه الخزى والعار ! .

أسألكم كم من مدرسة تعدون في هذه البلدة المشرفة ، كم تعدون فيها من المعلمين ؟ كم تعدون فيها من رجال يجوز انتخابهم للمبعوثين من الذين أحاطوا علماً بلسان الدولة الرسمي ؟ أخي إني أقرب لك الأمر وأقول اننا في مكة هذه بطولها وعرضها لم نجد رجلا أهلا يتولى أمر الترجمة في جريدتنا هذه . وفوق ذلك لا نكاد نرى عملا يذكر من الناس وقد مضت أربعة شهور طوال على عهدهم بالحرية .

أيها الاخوان لننصف من أنفسنا ، ولنعلم أن هذه البلدة المقدسة لا ينبغي لها أن تكون مأوى الجهالة والعطالة والسفالة ، فاننا ان فعلنا ذلك أغضبنا ربها في سماء كبريائه ، وهل ينبغي لنا ذلك ؟ على أنه مهما سنحت لي من فرصة لا أتأخر عن الكتابة في هذا الموضوع الهام منتظراً العمل المشكور من أربابه . واختم الآن استصراخي هذا بالحكمة القائلة : « اطلبوا العلم من المهـــد إلى اللحد » .

* * *

(٤)

دعا داعي الوطن فهل من مجيب[1]

بقلم عبد الملك خطيب

... سادتي ان أول خطة يدفعنا إليها العقل بصفة كونه حاكما مرشداً أن نسعى لندرك أمهات وسائل السعادة في الحياتين ، الحركة والصناعة للحياة الدنيا ، والعلم والعمل للحياة الآخرة . غير أنه لا يمكننا أن نشيد بنيانها إلا بعد تأسيس أركانها الأربع : الاجتماع والاتحاد والتعاون والتشارك ، لما أن الانسان من حيث هو إنسان مفتقر في نيل حاجاته وقضاء لباناته إلى أفراد إخوته في الانسانية بحيث لا يمكنه أن يقوم بمفرده في كل ما يلزم له حتى في أنواع المطعم والمشرب والملبس ... فما بالنا لا ندخل في طور المدنية فنعلي شاهقات قصور العمران على هاتيك الوسائل وتلك الأركان ونحن أبناء دولة واحدة وندين بدين واحد في وطن واحد ، ما بالنا لا نتخذها آلة لإرجاع مجدنا وإعادة سؤددنا ، ونستعملها معراجاً نعرج عليه إلى سماء العلم ، فنطلع على كواكب دقائق المعارف ، ونشاهد أفلاك المدنية ونجوم الحضارة ، ونستضيء بنيري قمر الثروة وشمس التجارة ، لم لا نتفانى في طلبها لنتمكن بها من فتح ما أغلق دوننا من أبواب أسباب المعيشة ، وشق ما حال بيننا وبين الصنايع من ستار الكسل والتسويف :

على نفسه فليبك من ضاع عمره   وليس له منها نصيب ولا سهم

سادتي أترون أني أتوهم فيكم الجبن والغباوة ، أو أشم منكم رائحة السكون وحب البطالة ، معاذ الله أن أتوهم فيكم شيئاً من ذلك ، بل إني أعتقد

---

(١) جريدة حجاز ، عدد ٥ (١٣٢٦/١١/١٨ هـ – ١٩٠٨/١٢/١٢ م) .

فيكم الذكاء والنجابة ، وأعرف من صفاتكم الحركة والفطنة اللذين كان يمكنكم أن تنهضوا بها من حضيض الجهل إلى أوج العلوم وأرقى درجات المعارف لولا ما تجدونه بطريقكم من موانع أخمدت الأفكار وحلت العزائم وأضلت الحيلة حتى ذهبت بحياة شعورنا ، فكان ذلك أول عذر لنا في تأخرنا وتكاسلنا وانحطاطنا ، ولا أدري ماذا يكون عذرنا اليوم ؟ . على أني بصفة كوني شاباً من شبانكم ، ونجلا من أنجالكم أرفع صوتي وأقول لقد دخلنا في عصر يتوجه فيه علينا عظيم اللوم وشديد العذل وقوي العتاب من أنحاء العالم الاسلامي إذا نحن لم نتجرّد عن لباس العداوة والبغضاء ، ونتنزه عن وصمة التنافر والتحاسد ، ونعقد عقدة الاجتماع والاتفاق فنمد يد المساعدة لتعميم العلوم والمعارف في وطننا بايجاد وسائلها من فتح المكاتب والمدارس وعلى الأقل مدرسة واحدة ، وتأسيس الجرائد التي هي أول مرقاة في سلم الترقي ، ونؤسس أساس الثروة والتجارة بغرس غراس الشركات حتى نجني ثمارها ، ونتلذذ بلذيذ نتايجها . فلنعزم ونتوكل فانه من يتوكل على الله فهو حسبه حتى نعيش عيشة راضية ، ونحيا حياة طيبة ... أصلح الله فساد قلوبنا ، ونوّر بنور العلم عقولنا ، وهذّب بتهذيب التقوى أخلاقنا ، وجعلنا من الذين هدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد .

* * *

(٥)

تكوين لجنـــة علمية(١)

« افتتـــاحية »

اهتم دولة الباشا المشير والينا الأكرم [والي الحجاز] بأمر المعارف التي هي اليوم في درجة المعدوم بالبلد الحرام . وقد علم الكافة أن المعارف هي النور الوحيد الذي تستضيء به الأمة في قطع ظلمات مراحل هذه الحياة الشاقة ، والظلم كل الظلم أن يحرم صبيان اليوم وهم رجال الغد من نعمة المعارف التي تغذي أرواحهم حتى يكونوا أفراداً يعقلون فينفعون وينتفعون .

فلا عجب إذا اهتم دولة والينا الكريم بهذا الموضوع الحيوي كل الاهتمام . أمر دولته حفظه الله تعالى فتشكلت لجنة تحت رياسة عزتلو مكتوبي الولاية وعضوية كل من أمين أفندي مدير الحرم الشريف وحضرة فيضي أفندي مدير المعارف وحضرة السيد إبراهيم أفندي نائب الحرم السابق وحضرة الشيخ عارف خان ومن آخرين غيرهم .

واللجنة تتذاكر اليوم في موضوع إيجاد مكان فسيح يصلح أن يكون مكتباً ابتدائياً ورشدياً واعدادياً ولنا ملء الأمل في نجاح هذا الموضوع المهم . وعلمنا أن من ضمن مواضيع بحث اللجنة مشروع تأسيس مدرسة صناعية ، وحبذا المشروع وأنعم به . نسأل الله العون والتوفيق .

* * *

---

(١) جريدة حجاز ، عدد ١٤ (١٣٢٧/١/٢٠ هـ - ١٩٠٩/٢/٥ م) .

(٦)

المعارف الحيــاة السرمدية الملية(١)

« افتتــاحية »

من جملة أحوال سيئات الأدوار السابقة المؤلمة ابقاء المعارف في الدركة السفلى ، وهذا من الأشياء التي رأيناها بعين الحزن وعلمناها بإذعان التأسف عدم التحلي بأنوار فيوضات المعارف إلى مدة هذه السنة والسنتين بلاشك ولاشبهة لها مجبر يسترها تحت سحب الحزن المحيط بالعالم .

نحمد ذلك الموفق العظيم الذي أرانا اعتلاء وتقدم بارقة حياة الملة ... فاليوم بترقيها وتعاليها نور الأمنية والاقبال لنا يد الوصال ، وبذلك تحصل أُمنية الحال والاستقبال . فالواجب علينا أن نبذل الجهد بالتقدم ، لحيث أن أنظارنا معطوفة ، وخطواتنا بجميع قواها للوصال مصروفة .

في مدة قليلة نرى المعارف التي هي محبوبة حياتنا تزين ببدائعها اللامعة المنورة أذهان اشتياقنا . انظروا لهذه البلدة المقدسة ، مع كونها في حد ذاتها هي محل سواطع الحكمة والمعارف ، ومنبع لوامع العلم والعوارف إلى ظهور هذا الدور كانت مجرَّدة من هذه المزية العـالية ، ومحرومة من نعمة المعارف ، متأخرة عن أمثـالها . فما رأينا لزوماً لتعداد .... وبيـان فقدان هــذا المحل من المعارف .

---

(١) جريدة حجاز ، عدد ٤٥ (١٣٢٨/١/٢٣ هـ - ١٩١٠/٢/٤ م) . تتسم هذه المقالة بما حفل به عدد غير قليل من المقالا ت التي نشرت في هذه الجريدة من ركاكة في الأسلوب ، وضعف في التركيب اللغوي .

فبناء عليه تشكل قومسيون للمعارف تحت رياسة حضرة صاحب العطوفة أمين بك أفندي لإزالة هذا الحال بالتدريج الموجب للحزن ، وتبكيت القلوب القاسية . يظهر للأخبار المسرة المستنشقة تقرر في هذا القومسيون تأسيس أربعة مكاتب ابتدائية في البلدة [مكة] اعتباراً من ابتداء السنة الرومية ، وبعد التأسيس يكون قبول صبيين من كل قبيلة من القبائل المتجاورة ، وعلاوة مائة من الطلبة في كل سنة ، وفتح مكتب آخر ليلي مركب من مائة نفر طلبة ، وتدريس العلوم الدينية والمعلومات المدنية مجاناً ، وعند ختام السنة يكون تزييد الصنوف لأجل إجراء تتميم التدريسات ، وقد تقرر ذلك في القومسيون المذكور .

نطلب من الله سبحانه وتعالى ترادف موفقياته الكاملة السبحانية إظهار استطلاعتنا هذه بشعشعة الترقيات في حد الكمال المهيجة حسياتنا الصميمية بمزيد السرور ، ونعرض تشكراتنا من كافة أفراد عائلتنا لرئيس قومسيون المعارف وهيئته الكرام المشاهد آثار هماتهم العلية في خدمة الوطن ، وأن يكون لأولاد الوطن نصيب من نعم المعارف .

* * *

(٧)

تأسيس مدرسة برهان الاتحاد(١)

« افتتاحية »

ان فرع جمعية الاتحاد والترقي العثمانية الذي بمكة المكرمة الذي لا يخطو خطوة إلا في مدارج العز والارتقاء باظهار موجوديته بالفعل ولاتزال كل خطوة يخطوها في معارج طبقات الكمال في طريق الحق في غاية من الخطوات الحكمية

(١) جريدة حجاز ، عدد ٤٦ (١٣٢٨/١/٣٠ هـ - ١٩١٠/٢/١١ م) .

قد أظهر لنا الآن أيضاً خدمة ما أعظمها وأسماها وذلك دليل على كونه ساهراً على سعادة أبناء الوطن فوضعها في موضع لا يرتقى إليه إلا كل شهم أخذت منه الحمية الوطنية مأخذاً حتى جعلته مجسماً لها .

إن هذا الفرع الذي يقدر أن المعارف هي الحياة الأبدية للملة والعلوم هي الجواهر النفائس في تأمين علائق الحقائق رآى أن يفيض على أبناء الوطن هذه الحياة السرمدية ويؤهل في أقرب وقت شبانا ، وإن شئت فقل أساتذة يخدمون الوطن ، يخدمون بلدة جاءت في خصوص من يخدمها الأحاديث الشريفة فيفيدونه ويستفيدون منه بل الأصل في ذلك استفادة الوطن وإعادة شرفه القـديم ، فسعى بعزم أيده الله ... وأسس مكتباً تجاه باب الصفا بتوفيقات صمدانية . وإن كلمة « الاتحاد » المبجلة التي تزينت بها غرة هذا المكتب في اللوح المرفوع فوقه المكتوب فيه « برهان الاتحاد » بيّنت حقائق الاتحاد وبرهنت على أقصى مراتبه .

وقد جرى رسم افتتاح هذا المكتب في يوم الأحد بصفة كانت تمثال الاخاء . وكانت الأعلام العثمانية التي تزينت بها أطراف هذا المكتب وأمامه على اختلاف ألوانها التي أضاءت كلها بأنوار الهلال تمثل اتحاد العناصر العثمانية أحسن مثال . وكانت العساكر العثمانية التي أُرسلت من الجهة العسكرية أخذت صفوفها أمام المكتب تمام الهيبة والوقار والموسيقة تنشط القلوب بالألحان الملية .

ولمـا جاء صاحب العطوفة حضرة أمين بك وحضرة فيصل بك والأركان والأمراء العسكرية والملكية واشراف وعلماء وأعيان البلدة المقدسة الكرام جرت لهم الاستقبالات المكملة والاحتفالات اللائقة من أعضاء

جمعية الاتحاد والترقي الصادقي الوطنية لسعيهم إلى سعادة الوطن وأبنائه فقرىء من طرف الجمعية المشار إليها الخطاب الآتي :

أيها الحاضرون الكرام ...

إن هذه البلدة المعظمة التي كانت مهبطاً للوحي الإلهي ومطلعاً للشريعة الغراء الأحمدية والفضائل والكمالات البشرية قد لعبت بها يد الخسار فدفنت كنوز علومها وجواهر معارفها حتى جعلتها في حالة تكاد تنجر إلى انقراض العلوم والمعارف الأصلية بعد ما كانت أم القرى أم الحضارة ، منشأ المدنية ، مع أن أبناء هذه القطعة المباركة وأهاليها المحترمين قد جبلوا على الذكاء والفطانة المجسمة والحمية الوجدانية بحسب الفطرة الإلهية ، فاهتمت جمعيتنا « جمعية الاتحاد والترقي العثمانية » حالة كونها مستندة إلى التوفيقات الإلهية ، ومعتمدة على توجيهات وترغيبات ولاة الأمور وعموم الأشراف والأعيان والأهالي الكرام العرفانية . نظراً إلى هذه الحالة المؤلمة التي وصلت إليها بلدة هي بلدة الله ، بلدة هي أعز وأقدس قطعة في الممالك العثمانية ، بل واسطة عقدها ، فرأت أن تتشبث في تأسيس مكتب يتكفل بسعادة أبنائها . وإنا نفتتح هذا المكتب بمظاهر وتوفيقات نحمد الله تعالى عليها ، ونتمنى دوام استمدادات توفيقاته الصمدانية ، فغاية آمال الوطن المعزز وواجباته علينا جميعاً إنما هو استحصال واستكمال كل احتياجاته في أمر ارتقائه وتأمين تعاليه ، ولا يرقى ولا يعلو الوطن إلا على حسب مقدرات همم أبنائه العلوية ، وإن أول انموذج ومثال لهذه الآمال هو تشبثنا هذا الوطني الذي نستجلب به رضاء الله تعالى ، ورضاء أمة قال نبيها : لا تجتمع على ضلالة .

ونقدم خالص شكرنا إلى عموم الحاضرين الكرام مصحوباً بالتعظيم

والاحترم ، والله سبحانه وتعالى يوفق أصحاب النيات الخيرية والأفكار الحسنة السنية بتوفيقاته السبحانية . فليحي خليفتنا المعظم محمد رشـــاد ، وليحي الاتحـاد .

وكانت كثرة التصفيق من شدة الفرح تدل على أن الاشباح وصلت إلى حالة تطرب منها الأرواح . وعقب ذلك قام حضرة وكيل الولاية الجليلة فألقى خطاباً كان مشتملا على دروس علوية نرى توصيفها على ما احتوت عليه من المزايا والكمالات الانسانية والبيانات السحرية تخرج بنا عن الصدد الذي نحن فيه فأحببنا أن نبين لقرائنا الكرام أننا سنطبعه على حدة وننشره خدمة للبلغاء والفصحاء .

وبعد انتظام عقد مراسم الافتتاح بهذه الصورة الجميلة رفعت أكف الضراعة والابتهال بالدعاء للسلطان المعظم والخليفة الأعظم محمد رشاد الخامس أيد الله دولته العثمانية بتأييداته الربانية . وعقب ذلك أُديرت كاسات الشربات على الحاضرين الكرام ، ثم تفرّق الكل على حب الاتحاد والدعاء له .

وقد قيد إلى الآن من الطلبة في هذا المكتب خمسون طالباً على اختلاف أجناسهم شاهدناها بعيني الافتخار والممنونية . وما التوفيق إلا من عند الله .

* * *

(٨)

المبـــاني المـــدرسية(١)

بقلم م. راغب

قلنا في عددنا السابق بنمرة ١٢٩ بما تحتويه المعارف من علو المزايا وبفرضية تحصيلها . أردنا اليوم البحث عن المدارس التي هي دار تحصيل تلك المعارف . نقول ان لا محيص ولا ريب في أن طرز انشاء المدارس له دخلا عظيماً وتعلقاً جسيماً بالتربية البدنية كما أن العلم والمعرفة لهما خدمة غير قابلة الانكار للتربية الاخلاقية والعلمية والفكرية .

بالطبع ان الصحة لها تأثيراً جزيلا في الأحوال البشرية جمة فاختبار التوصل لتأمين صون الصحة عن اعتراء الخلل بها في كل أمر باد أول شيء يعتنى به .

العلم والمعرفة هما غذاءان للروح كما أفدنا به في ذلك العدد فيترتب علينا خدمات عديدة لايصال هذا الغذاء إلى الروح ، فأول أمر من هذه الخدمات هو حصر أنظار الاهتمام في إنشاء المدارس بصورة لم يختل بها نشوء الأطفال الطبيعي والجسماني ونمائهم .

نعم من حيث أن المدارس هي موقع جولان المساعي الفكرية وهذه المساعي والأعمال لها تأثيراً عظيماً على الأفعال الحياتية والأحوال الصحية فعطف لحاظ الاعتناء زيادة في إنشاء تلك المدارس بأحسن طرز واجب لئلا يتمكن بأحوال بدن الأطفال وصحتهم سوء التأثير ويكون الاعتناء هذا في معاملات تأسيس المدارس أول طبقة مهمة .

---

(١) جريدة حجاز ، عدد ١٣١ (١٣٣١/٧/١ هـ – ١٩١٣/٦/٦ م) .

يلزم أن تكون المدرسة ذات هواء وضياء بموقع مرتفع وسيعة الأرجاء قليلة الرطوبة غير ممنوعة عن التقاء الشمس بالبنيان التي بنواحيها وأن تكون حجرات التدريس مؤمنة لتنفس الهواء ، وأن تكون شبابيك تلك الحجرات بحالة تكفل دخول الضياء والهواء كما يلزم متصلة ببعضها وأن يكون بها بستان وبموقع تنفس حيث أن كل ذلك معدودة من أسباب الصحة .

ولو أن بعض المدارس الابتدائية والرشدية الموجودة بمحيط الولاية تحتوي الأسباب الصحية مهما أمكن ، وإنما البعض منها مع كون بنائها غير مكاسمة لبناء المدارس لم تفي بتأمين أحوال صحة الأطفال لعدم التكامل إذا أوجب التفكر لدى أرباب الحقائق .

تحوز المدارس أهمية عظيمة لأنها خطوات بدائية لميدان الترقيات الملية ، وقد تحتاج الهمة بنسبة أهميتها فهي جديرة باعتناء أولياء الأمور لا سيما أرباب المزايا من ذوي الفضل والكمال مثل حضرة والينا المحترم .

وقد تمركز بالقلوب والخواطر تمنيات تأمين لوازم الصحة بالمدارس التي لم يتضمنها لصون أطفال الوطن عن كل شائبة ونقصان صحي . ها قد حان رفع تلك الانزعاجات القلبية وظهور آثار التمنيات الخيرية كما يكن ولله الحمد .

وصل سمع شكرنا أنه قد تقرر لدى مجلس إدارة الولاية إقامة أبنية باسم المدارس الابتدائية المؤسسة بالنزلة وبني مالك بجده وبناء دار للمدرسة التي ستؤسس بالرويس موافقاً بالفن المعماري ومطابقاً بقواعد حفظ الصحة لصرف ثلاثة وأربعون ألف قرش وكسر لكل واحدة منها . وإنما حيث وجود بناء أخيرا بالنزلة لمدرستها قد استنسب شراؤه باسم المعارف وإنشاء مدارس بني مالك والرويس حيث لم يكن بها دور تليق بالمدرسة . وعلى ما استنشقناه

أيضاً أنه أُريد إنشاء طبقة ثانية على المدرسة الابتدائية الكائنة بالطائف والكشف جار عليهـــا .

هذا والشكر واجب على كل ذي لب ومعرفة نيابة عن أولياء الأطفال عموماً أمام الهمة العالية المؤثرة من تلقاء الوالي الأكرم لوضع ما تختاره الحكومة السنية من المصاريف الجسيمة في ترقي المعارف وانتشار العلوم بموضعها لتجري التأثيرات الحسنة في المقصد بوجه أتم وأبلغ ويعرف الفضل من الناس ذووه .

* * *

(٩)

انشاء المدرسة الخيرية(١)

بقلم الشيخ حسين بن عبد الله باسلامه المدرس بالمدرسة الخيرية

ان أعظم نور أضاء على الكائنات هو نور العلم ، وأشرف ما تتفاخر به الأمم على بعضها هو شرف العلم ، لأن صفات الكمال والقدرة والإرادة كلها ترجع إليه ، فحاجة العباد إلى العلم ضرورية فوق حاجة الجسم إلى الغذاء ، حيث أن الجسم يحتاج إلى الغذاء في اليوم مرة أو مرتين ، والعقل يحتاج إلى العلم بعدد التنفس ...

هذا وبما أن الله سبحانه وتعالى لم يخل هذه الدنيا من أهل العلم والفضل ، خصوصاً في بلدة بعث فيها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، فقد قام بهذا الواجب الوطني العظيم حضرة العالم العلامة فخر الأساتذة الكرام والمرشدين العظام الشيخ محمد حسين الخياط منذ سنوات ، وطالب بفتح دار علم في

---

(١) كتبت هذه الكلمة كمقدمة لكتاب « ثمرة العلم بأم القرى » الذي أصدره الشيخ باسلامه في عام ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) بمناسبة الاحتفال الذي أقامته المدرسة الخيرية في العام نفسه .

بلد الله الحرام تنهض بأبنائها إلى سماء السعود والارتقاء ، فما كان جوابه إلا رفضه من جميع وظائفه وحرمانه من جميع مصالحه . فلما رآى ذلك علم أنه لم يتمكن من مقصوده ، وترك وطنه العزيز مكرها خوفاً من أن الأذى يلحق بشخصه ، وبقي بعيدا إلى أن منّ الله على هذه الأمة فرجع الأستاذ إلى وطنه سالماً ، وأعاد طلبه على حكومتنا فلبّت لطلبه بالرحب والسعة ، فكان ذلك يوم سرور ، ففتح مدرسة في داره وسمّاها « المدرسة الخيرية » ، ورغماً عن ضعف حاله ، فإنه لم يكلف أحداً بمساعدته بل نادى في أبناء أُم القرى هلموا إلى المجد والعلا ، فلبوا لدعائه ، وصار يأخذ بيد الفقير قبل الغني ، والضعيف قبل القوي . ولم تزل التلامذة يفدون إلى المدرسة المذكورة إلى اليوم ، فبلغ بحمد الله تعالى عددهم نحو ثلاثمائة تلميذ في مدة عامين .

أما مقاصد الأستاذ بتأسيس المدرسة المذكورة فلأمور شتى منها : نشر العلوم الدينية على حقيقتها ، وإظهار مزايا هذا الدين الحنيف في مرايا الناشئة بتربيتهم على آدابه وحكمه الروحانية الفاضلة حتى يكونوا مثالا صحيحاً له بظهورهم في مظهره العالي ومقامه الغالي ، فيتحكك بهم اخواننا المسلمون الواردون إلى مكة المكرمة فيصدرون وقد تكهربوا بكهربائه فيكهربون أهل بلادهم حتى يصطبغوا بتلك الصبغة ، وبذلك يكون الوصول إلى اصلاح اخواننا المسلمين أجمعين ، وارتباطهم برابطة الدين التي يكونون بها كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد ، وهذه أعظم وسيلة لذلك تغني عن ارسال جماهير عظيمة إلى تلك البلدان الكثيرة . ومنها أن يصبحوا رجالا عظماء لخدمة ومعونة دولتنا العظيمة باصلاح رعاياها وربط قلوب العالم الاسلامي أجمع لنصرتها نصرة مادية ومعنوية . ومنها أن تصبح أُم القرى في نظر العالم الاسلامي الآن كمنظرها الأول وغير ذلك من المقاصد الشريفة .

وأما العلوم التي يلقنها للتلامذة فهي : عقائد ، فقه ، تربية وأخلاق ،

نحو ، صرف ، حسن خط ، إنشاء ، رسم ، جغرافيا ، تاريخ ، أدبيات ، لغة تركية ، قواعد عثمانية ، املاء تركي ، مسك دفاتر ، هندسة ، حساب ، جبر ، ميقات ، تجويد .

وأما دخول المدرسة فهو مجاناً ، ولم يكلف الأستاذ أحداً بمساعدته كما ذكرنا آنفاً ، وحيث أننا على علم يقين أنه لم يكن من المتمولين ، بل ولا من المتوسطين حيث يعيش بكد يمينه ، فهذا الأمر لم يكن كافلا لسعادة أبناء أُم القرى ، فصارت معاونة الأستاذ ومساعدته ضرورية على اخواننا المسلمين . وأملنا وطيد في غيرتهم وحميتهم بمساعدته مساعدة عظيمة تصبح فيها هذه المدرسة من أعظم المدارس في العالم الإسلامي ، ويصبح تلامذتها يعدون بالألوف ، والله يجزي المحسنين أجرهم بغير حساب .

* * *

(١٠)

ظروف إنشاء المدرسة الخيرية(١)

بقلم الشيخ محمد حسين الخياط مؤسس المدرسة الخيرية

... أيها التلامذة الكرام . ما أسعدكم حيث وجدتم في زمان أباح لكم الترقي في العلوم والمعارف التي كنا مسترذلين بطلبها والسعي وراءها ، ونجازى بالتأخير والخذلان والحرب المعنوي دونها ، ولا نعاون إلا بقطع المعونات حتى تلاشت علومنا وضرب علينا الخمول اطنابه لولا ما تداركنا الله به ... إني لم أكد أتحصّل على رخصة في فتح مدرستكم هذه رسمياً بعد الالحاح الطويل ،

---

(١) من خطبة ألقيت في الحفل الذي أقامته المدرسة الخيرية سنة ١٣٢٨ هـ . وقد نشرت في كتاب : ثمرة العلم بأم القرى ، الذي أصدره الشيخ حسين بن عبـد الله باسلامه عام ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) ، ص ٥ — ٦ .

والآن حين طلبت الرخصة أجابتني حكومتي بأنها تعطي الرخصة مع الممنونية ، وشوقتني إلى ذلك ترغيباً في السعي وراء ترقيتكم وخدمتكم .

أيها التلامذة السعداء ، إني لفرح بخدمتكم ، وآمل من الله تعالى أن يجعل خدمتي لكم وسيلة إلى بياض الوجه أمام الله وأمام أسعد خلقه وصفوته من عباده صاحب الكمال الذي لا يجارى ، والشرف الذي لا يبارى ، ولذلك فإني أعتقد لكم تمام المنة عليّ بما اكتسبه بخدمتكم . إني لأرغب في خدمتكم ما يرغب في ملايين من المال ، وأعد ذلك غنيمة باردة أسعدني الله بها فعسى أن أفوز بذلك .

ان علمكم أيها التلامذة الكرام قد أحاط بأن النفس الواحد لهذا النوع الكريم أعني نوع الانسان الغالي الذي شهد له خالقه بدلالة الإشارة بأنه أحسن المخلوقين حيث وسم نفسه بخلقته متمدحاً بأنه أحسن الخالقين ، أعز من الدنيا وما فيها ، فكيف بالأنفاس العديدة التي تحويها الساعة الواحدة من العمر وقد علمتم برهان ذلك .

وان من أسعد الناس بأنفاس عمره من قام في مقام أسعد الخلق الذي اختاره الله وهو مقام تعليم العلوم الكافلة بسعادة الدارين ... تالله ان العمر المصروف في غير مثل هذا العمل العظيم هو أضيع ضايع ، وأخسر صفقة وأعظم مصيبة . أيها التلامذة الكرام ما أعظم منتكم على أن نلت بكم أن أذكر في خادمي ذلك البطل العظيم ، والشهم الكريم ، فريد الأكوان ، من نسل عدنان .

أيها التلامذة الكرام أرجوكم أن تعفوا عني في تقصيري بكم عن الغاية التي تناسب استعداد فطرتكم السليمة ، فقصرت بكم عن ذلك الشأو البعيد الذي تعجز عنه قوة مثلي وقصور علمي ومالي ، فهذا جهد المقل ، وإني

مستعين على خدمتكم بخير معين ، وبمن بيده الحول والقوة كلها أن يقوم عني بقدرته العظيمة في اعلاء شؤونكم ، وهذا غاية جهدي ، فأسأله سبحانه وتعالى أن يقوم عني بذلك ، انه سند العاجزين وملاذ المقصرين .

أيها التلامذة الكرام ، ليت لي ملء هذا البيت ذهباً فأنفقه في وجوه ترقيكم ، وأعد نفسي بذلك أربح تاجر ، وأكون ممنوناً منكم حيث وجدت قابلا لتلك الفاعلية ، ومحلا لتلك الأمنية، وأسأل الله لكم أن تكونوا قرّة عين لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنشر تعاليمه ، وإظهار فضلها بعد ذلك الخمول ، والتعريف بقدرها بعد ذلك الذهول ، وأن يوفقكم الله تعالى لإحياء خطته صلى الله عليه وسلم الشريفة بأعمالكم الفاضلة الجليلة ، حتّى تكونوا مثالا له تمثلون تلك الأخلاق العظيمة ، والشهامة الكريمة ، وتلك الهمة العالية والشمائل الفائقة السامية فيتحكك بكم حجاج هذا البيت الحرام فيتمغطسون بتلك الفضائل السامية والمزايا الكريمة فيرجعون إلى بلادهم ، فيتحكك بهم أهل الدنيا ويتمغطسون بتلك المزايا فتكونوا مشايخ العالم ، ومنابع في الفضل تمتد منكم جداول إلى أقصى المعمورة كما هو اللائق ببلدة جعل الله فيهـا مثابة للناس فيكون كل منكم خير أمة أُخرجت للناس . اقر الله عيني فيكم بأن ترى شيئاً من ذلك ، وأسأله ألا يحرمني من بركاتكم ودعواتكم إنه خير مأمول ، وأكرم مسؤول . آمين .

* * *

(١١)

حاجة المدرسة الخيرية إلى المال(١)

بقلم الشيخ حسين بن عبد الله باسلامه

... أيها الأفاضل ، هل قولي فليحي العلم هو كافل حياته ، أو قولي وليمت الجهل كافل بموته ، كلا ثم كلا ، لن يحي العلم ولن يموت الجهل بمجرد القول ، فإن أعظم حياة للعلم هو التعاون والتعاضد والسعي وراءه بالمال والجاه والعزم والثبات .

أيها الأفاضل ، كلنا شهدنا ثمرة همة الأستاذ الشيخ محمد حسين الخياط التي ربّى بها هؤلاء التلامذة النجباء فشعروا بفضل التعاون والتعاضد رغماً عن حداثة سنهم ... وكلنا نعلم أن الذكاء يتوقد في أدمغة أبناء أُم القرى ، ورغماً عن ذكائهم ، فلم يجدوا مدارس تكفل سعادتهم سوى ثلاث مدارس في بلادنا أضاء نور العلم منها على سائر الدنيا . فهل ثلاث مدارس في بلدة تقدر نفوس أهلها بنحو مائتي ألف تقوم بتعليم ناشئتها ، حاشا وكلا .

فإذن يجب علينا أن نساعد العلم بكل قوانا المادية والأدبية بحيث أن كلامنا يظهر غيرته وحميته نحو العلم كالشمس المشرقة بقدر مستطاعه . فيلزمنا الآن بادىء بدء أن نوجه مساعدتنا نحو الأستاذ المشار إليه ، حيث أنه شوهد لدينا قوة سعيه بتعليم الناشئة بما نستطيعه من المال والجاه ، لأنه معلوم لدينا أنه لم يكن من المتمولين حتى أنه يجلب إلى مدرسته معلمين يساعدونه على تلقين التلامذة الدروس الحديثة لأنه يشتغل وحده ، وليس له مساعد يعينه على ذلك ، وهذا الحال لا يكفل لنا نجاح التلامذة ما دام يشتغل وحــــده بغير مساعد .

---

(١) من خطبة ألقيت في حفل المدرسة الخيرية عام ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) . وقد نشرت في كتاب : ثمرة العلم بأم القرى ، ص ١٢ .

وأما إذا رأينا توفر المعلمين معه بتلقين التلامذة الدروس فذلك الوقت نشعر بنجاح التلامذة . وخلاصة القول أن أملي عظيم في حمية وغيرة اخواننا الحاضرين أن يبذلوا غاية جهدهم بمساعدة الأستاذ ، وفيما ذكرناه كفاية ، والله يرشدنا إلى ما فيه النجاح والفلاح ، وأختم خطابي قائلا : فليحي ناصرو العلم ومحبوه[1] .

* * *

(١٢)

طريقة الامتحان في المدرسة الصولتية[2]

بقلم الشيخ عبد الرحمن الدهان المعلم الأول بالمدرسة

... ان أقصى المقاصد حالا ومآلا ، وأسعد المآرب رفعة وكمالا ، وأعلى المناصب رتبة وجمالا التحلي بالعلم الذي به يحصل ترقي الأمم في كرويتها وانتظام مصالحها في نهضتها ، والتخلي عن الجهل المشؤوم التالف ، الذي به فات كل فضل تليد وطارف ، وكفى العلم فضلا وشرفاً أن كل أحد يدعيه ، والجهل خسة ورذالة أن كل أحد يتبرأ منه وينفيه ...

وان ممن سبقت له العناية بنيل هذا الفخر العظيم الشأن ، وخصصته الارادة بحمل راية المجد والسؤدد فكان مقدام فرسان هذا الميدان ، العالم الأوحد

(١) أشار الشيخ باسلامه إلى أن خطابه هذا كان « للحاضرين أول علم لهم بحال الأستاذ [الخياط] ، فأجاب الحاضرون بأنهم سيبذلون جهدهم بمساعدته ، وأبدوا عذرهم بعدم علمهم بحاله قبل الآن » . (ثمرة العلم بأم القرى ، ص ١٢) .

(٢) من خطبة ألقيت في الحفل الذي أقامته المدرسة الصولتية عام ١٣٣٠ ﻫ (١٩١٢ م) . وقد نشرت في كتاب : صدى العلم من الحجاز ، الذي أصدرته المدرسة سنة ١٣٣١ﻫ (١٩١٣ م) ، ص ٤ — ٥ .

بشهادة الأقران ، إمام الأئمـــة وقمر الأمة شيخنا الشيـــخ رحمة الله ابن المرحوم الشيخ خليل طيب الله ثراه ، وجعل الجنة مقره وقراه آمين . وكفاه فضلا وشرفاً تأسيس هذه المدرسة التي أبدت حياته في العالمين ، وذكره في الخافقين بأشرف البلاد التي هي أم القرى ، ومطلع شمس الدين التي سطع ضياؤها فعم الآفاق شرقاً وغرباً وبرا وبحرا . فلله سبحانه وتعالى المنة العظمى بترقية هذا المعهد الذي عمت ثمراته اليانعات ، وانتشرت آياته البيِّنات ، فغرست غراسا في الآفاق يانع الثمار ، لا ينكرها من رزقه الله تعالى الهداية ، وفتح عين بصيرته للاستبصار ، وليس الخبر كالعيان ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . قال الشاعر :

وما ضر شمساً أشرقت في علوّهـا   جحود حسود وهو عن نورها عمي

... ولنقدم واجب الشكر الوافر ، والثناء الزاهي العاطر إلى مناصري المعاهد الاسلامية ، من بهم انتظمت المحافل فهم عقودها ، وأضاءت بهم المجالس فهم بدورها ، وأشرقت بهم النوادي فهم شموسها ، كيف وهم متحلون بحلل العلم والعرفان ، رافلون في سندس النعم من الرَّب المنان ، فهم فرائد عقود هذا المحفل المنعقد لجوائز الطلبة الفائزين في امتحان هذا العام ، أدام الله لنا وهم ولمن لم يفز الارتقاء في مدارج العلوم على مدى الأيام .

وقد جرى في هذا العام صفة الامتحان على نمط الماضي من الأعوام ، من الامتحان التحريري على ما هو المعلوم عند علماء الهند الأفاضل الأعيان ، وجعل في كل كتاب خمسة أسئلة تدفع للطالب عند حضور مجلس الامتحان ، ويكتب عليها بما يفتح الله عليه بدون مراجعة الكتاب ولا الاخوان . وجملة الطلبة في هذا العام ستة وخمسون ومائة ، والذين حضروا مجلس الامتحان مائة وستة وستة عشر ، والذين لم يحضروا واحد وأربعون ، قد صادف الامتحان وكان

بعضهم بالمدينة المنورة وبعضهم منعتهم الأعذار . وكان عدد الفائزين مائة وأحد عشر بمقتضى ما شاهده من الأجوبة أعيان العلماء الأعلام ، والفضلاء المحققون العظام ، متع الله سبحانه وتعالى بهم وبمن سار على نهجهم القويم الاسلام والمسلمين . فبحمد الله سبحانه وتعالى كان الفائزون في هذا العام أكثر عدداً وأتم تحريرا ...

* * *

(١٣)

حاجة مكة المكرمة إلى مدارس خيرية مثل المدرسة الصولتية(١)

بقلم الشيخ بكر خوقير

أيها السادات ، نحمد الله الذي رفع شأن العلم ، وجعل أهله خواص خلقه ، وجعل هذا البلد الأمين مطلع شمسه ، وجعل أفئدة الناس معلقة به ، فجمعنا في كل عام في هذا النادي بأمثالكم من الحجاج المشتركين بهذا الاحتفال المعدود من الآثار التي يسير بذكرها المسافر ، فإنه عيد لهذه المدرسة وسائر المدارس الدينية والمعاهد العلمية ، فكلها تنظر إليه بعين الاعتبار ، وتعده من موجبات الفخار بما أنه معيار ترقي التعليم في هذه المدرسة ، ومظهر نتيجة أعمالها في عامها ، والموازنة بين ماضيها وحاضرها ، ومقدار سير التعليم فيها وخدمة المعلمين ، وفضل البارعين من المتعلمين . فأقدم إليكم أيها السادات باسم هذه المدرسة ثناء جميلا وشكرا جزيلا في مقابل حضوركم في هذا الوقت الذي يشتغل فيه التاجر بتجارته ، والحاج بمناسكه ويصعب السير في الطرقات

---

(١) خطبة ألقيت في الحفل الذي أقامته المدرسة الصولتية عام ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) . وقد نشرت في كتاب « صدى العلم من الحجاز » الذي صدر سنة ١٣٣١ هـ ، ص ١٦ – ١٧ .

بداعي الرحام ، ولا ريب في أن حضوركم من العوامل العظيمة في خدمة العلم وتعضيد القائمين بنشره ، فأنتم معدودون منهم لأنكم شاركتموهم في أمره وأخص أهل الهند بالذكر منوها بفضلهم ، منافساً لغيرهم ، فهذه المدرسة تنسب إليهم ، وأتمنى أن تحذو حذوهم الأجناس التي تقيم في مكة المشرفة في تأسيس المدارس المنظمة ، ففي ذلك فليتنافس المتنافسون ، ولمثل هذا فليعمل العاملون ، فعسى أن يدخل بينهم في سبيل هذا الخير العظيم فيفتح كل جنس مدرسة لأبنائه على أحسن طرز في جميع ما يتعلق بالتعليم ، ويحضر لها البارعين من المعلمين ، فيجد كل جنس بالتنافس لغيره في ترقي مدرسته ، وبذلك يرتقي التعليم العام وتوجد فوائد كثيرة منها الاستفادة بمقاصد الحج الحقيقية حيث يحصل التعارف بين أرباب المعارف ، وربما كان أكبر عامل لحل المشاكل المعقدة في مسائل التعليم من انتخاب الكتب المناسبة لحالة العصر ، وتوحيد وجهة التعليم ، وإيجاد المعلمين الحائزين على الصفات العالية والشروط اللازمة ، القادرين على حسن الالقاء والتربية والتهذيب ، ذلك الأمر الذي يهم أرباب المعاهد العلمية ، فجلها ان لم نقل كلها تشكو من قلّة المعلمين وكفاءتهم حتى قال صاحبنا بدر الدين النعساني في كتابه التعليم والأرشاد ما نصه : « وظيفة التعلم أصبحت عقيمة بما اعترى جسمها من الأدواء ، فما تكاد تنتج شيئاً ، ولو أردنا أن نحصي عدد الناجحين من أُولئك المستعدين لتعلم العلوم الدينية نجاحاً نسبياً لم يكونوا أكثر من واحد في كل مائة ، ولو طلبنا الناجحين حقيقة الذين يمكنهم القيام بوظيفة التعليم لم يكونوا أكثر من واحد في الألف ان كثر عددهم » انتهى . ولعله نظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الناس كإبل مائة لا يوجد فيها راحلة » ، فاني أرى نهضة في مصر لا بد أن يسري أثرها في جثمان العالم الاسلامي في زمن قريب ، وسيكون لها تأثير عجيب ، ويكون للحجاز فيها نصيب . فهذا الجامع الأزهر قد أخذ في الترتيب والنظام بفضل مجلس إدارته الذي تشكل في عام ١٣١٢ هـ ، وقد كثرت المدارس في مصر على

اختلاف أنواعها ، وآخرها دار الدعوة والارشاد التي ظهر أثرها في أول عامها ، فكيف ان طال عمرها وعظم قدرها ، فعلى كل عاقل أن يسعى لها ، وعلى كل مسلم أن يسلك في سبيل العلم والتعليم ولو خطوة واحدة ، ويجتهد أن يضع في بنائه ولو حجرا واحداً ، فحيا الله أهل الهند الذين قاموا بتشييد هذه المدرسة وفتح أبوابها للناس ثمانية وثلاثين سنة ، وما زالوا يزيدون في عمارة أماكن جديدة لزيادة ورود الطلاب إليها ، وهذا احتفالنا اليوم في العمارة الجديدة التي صرفوا عليها في ظرف سنتين ثمانية عشر ألف روبية .

وقد زاد عدد الناجحين بنحو الثلث عن عام ١٣٣٠ ﻫ وتلك نتيجة تدل على عناية المعلمين ، وزيادة الطالبين ، ويقابلها بمزيد السرور كل من يهمه أمر التعليم . وقد فصلنا أحوال المدرسة في السنين الماضية ، وبيّنا أن مدة الدراسة فيها عشر سنوات وقد يبرع النبيه في ثمانية . والفنون التي تدرس في هذه المدرسة وإن كانت كثيرة تبلغ نحو ٢٦ فناً إلا أنها موزعة على هذه السنوات وينبغي لها أن تراعي أميال الطلبة في الاقدام عليها ، والاعتناء بما تمس إليه الحاجة ، والاكتفاء بالمبادىء والكتب الصغيرة المقررة في المدارس الشهيرة ، وتنسيق النظام ، ووضع الدرجات وتكرير الامتحان وجعله شهرياً ، ولو أنها تخصص لأهل كل درجة شهوراً معينة ، وكذلك وضع قانون صارم في التأديب ومعيار في الأخلاق والتهذيب . وهنا اقترح أيضاً إضافة علم الجغرافيا إلى برغرام المدرسة ، وينتخب لذلك بعض الكتب الصغار الدراسية .

وأملنا قوي في همة مدير المدرسة ذلك الشاب الصالح النشيط الذي سافر إلى الهند في هذا العام في خدمة هذه المدرسة في تحصيل مالها من العادات عند الأمراء والسادات ، والوقوف على ما أُدخل في نظام التعليم من الاصلاحات في المدارس الهندية خصوصاً ما قررته جمعية ندوة العلماء التي كنا نعلق عليها

آمالا كبيرة ، ولم أسمع عنها نتيجة تذكر في مدة مديدة . وأمر المدرسة في غيبة هذا المدير جار على ما ينبغي على حسب عادتها في كل شيء حتى في هذا الاحتفال الذي تشرفنا به وحظينا فيه برؤية هؤلاء الأبطال . وفي الختام ندعو بالرضوان والمغفرة لمولانا الشيخ رحمة الله مؤسس هذه المدرسة ، وبالثبات للقائمين بخدمتها بارك الله فيهم ولهم وعليهم .

◇◇◇◇◇◇

المصادر والمراجع

١ — الكتب :

الأنصاري ، عبد القدوس : تاريخ مدينة جدة ، مطابع دار الأصفهاني ، جدة ١٩٦٣ م .

امارة مكة المكرمة : الطوالع السنية في نظام التدريس الجديد بمسجد مكة المحمية ، المطبعة الماجدية ، مكة ١٣٣٢ ﻫ (١٩١٣ م) .

باسلامه ، حسين بن عبد الله : ثمرة العلم بأم القرى بنجاح تلامذة المدرسة الخيرية ، المطبعة الماجدية ، مكة ١٣٢٨ ﻫ .

البتنوني ، محمد لبيب : الرحلة الحجازية ، الطبعة الثانية ، مطبعة الجمالية ، القاهرة ١٣٢٩ ﻫ (١٩١١ م) .

الجامعة الإسلامية : دليل الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، مطابع دار الأصفهاني جدة ١٣٩١ ﻫ (١٩٧١ م) .

جامعة الملك عبد العزيز : التقرير السنوي الثالث لجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ، جدة ١٣٩٠ ﻫ (١٩٧٠ م) .

حافظ ، علي : فصول من تاريخ المدينة المنورة ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ، جدة ١٩٦٨ م .

الحصري ، ساطع : حولية الثقافة العربية « السنة الأولى » ، الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٤٩ م .

رفعت ، ابراهيم : مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ، جزآن ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٥ م .

السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، ج ٢ ، الطبعة الثانية ، مطابع دار قريش ، مكة ١٣٨٢ ﻫ (١٩٦٣ — ١٩٦٤ م) .

الشامخ ، محمد عبد الرحمن : الصحافة في الحجاز ١٩٠٨ — ١٩٤١ ، دار الأمانة ، بيروت ١٩٧١ م .

شلبي ، أحمد : تاريخ التربية الإسلامية ، دار الكشاف ، بيروت ١٩٥٤ م .

صادق ، محمد : دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج ، المطبعة الأميرية ببولاق ، القاهرة ١٣١٣ هـ (١٨٩٦ م) .

عبد الجبار ، عمر : دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام ، دار مفيس للطباعة ، القاهرة ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ – ١٩٦٠ م) .

قطب الدين الحنفي : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام في تاريخ مكة المشرفة ، المكتبة العلمية بمكة ، القاهرة لا .ت .

المدرسة الصولتية : صدى العلم من الحجاز ، المطبعة الماجدية ، مكة ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) .

ابن موسى ، علي : وصف المدينة المنورة في سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) . دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، بيروت ١٩٧١ م .

Burckhardt, J. L. Travels in Arabia, Henry Colburn, London 1829.

Hurgronje, C. Snouck, Mekka in the Latter Part of the 19th Century: Daily Life ,Customs and Learning, translated by J. H. Monahan, Leyden: E. J. Brill Ltd, London : Luzac & Co. 1931.

٢ – المقالات والدوريات :

افتتاحية : تأسيس مدرسة برهان الاتحاد ، جريدة حجاز ، عدد ٤٦ (١٣٢٨/١/٣٠ هـ – ١٩١٠/٢/١١ م) .

افتتاحية : تكوين لجنة علمية ، جريدة حجاز ، عدد ١٤ (١٣٢٧/١/٢٠ هـ – ١٩٠٩/٢/٥ م) .

افتتاحية : المعارف الحياة السرمدية الملية ، جريدة حجاز ، عدد ٤٥ (١٣٢٨/١/٢٣ هـ – ١٩١٠/٢/٤ م) .

افتتاحية : النهضة العلمية ، جريدة الفلاح ، عدد ٢٤ (١٣٣٩/٥/٢١ هـ – ١٩٢١/١/٣٠ م) .

حافظ ، عثمان : الطلاب المبتعثون في العهد العثماني ، مجلة المنهل ، عدد ١٢ مارس ١٩٦٩ م .

حجاز ولا يي سالنامه سي : مكة من ١٣٠١ ﻫ (١٨٨٣ – ١٨٨٤ م) إلى ١٣٠٩ ﻫ (١٨٩١ – ١٨٩٢ م) .

جريدة حجاز : مكة ١٩٠٨ – ١٩١٥ م .

الخطيب ، عبد الحميد : تطور التعليم بالمملكة العربية السعودية ، مجلة المنهل ، عدد ١١ و ١٢ ، أكتوبر ونوفمبر ١٩٤٦ م .

خطيب ، عبد الملك : أهل بعد الدستور عذر ، جريدة حجاز ، عدد ٣ (١٣٢٦/١٠/٢٩ﻫ – ١٩٠٨/١١/٢٤ م) .

—— : دعا داعي الوطن فهل من مجيب ، جريدة حجاز ، عدد ٥ (١٣٢٦/١١/١٨ ﻫ – ١٩٠٨/١٢/١٢ م) .

راغب ، م. : المباني المدرسية ، جريدة حجاز ، عدد ١٣١ (١٣٣١/٧/١ ﻫ ١٩١٣/٦/٦ م) .

رحمة الله ، محمد سليم : حديث صحفي مع الشيخ محمد سليم رحمة الله مدير المدرسة الصولتية بمكة ، مجلة المنهل ، عدد ٩ و ١٠ أغسطس وسبتمبر ١٩٥١ م .

سامي ، أبو الثريا : مطلع أنوار المعارف ، جريدة حجاز ، عدد ٣ (١٠/٢٩/ ١٣٢٦ ﻫ – ١٩٠٨/١١/٢٤ م) .

أبو سليمان ، جميل : رجل من رجال التعليم القدامى : المرحوم الشيخ محمد علي زينل ، النشرة التربوية ، تصدرها وزارة المعارف بالرياض ، عدد ٣ ، شوال ١٣٩٠ ﻫ – نوفمبر ١٩٧٠ م .

شرف ، بكر : ذكرياتي عن مدرسة الخياط بمكة ، مجلة المنهل ، عدد ١١ و ١٢ أكتوبر ونوفمبر ١٩٤٧ م .

—— : كانت الصحافة ثم صارت ، جريدة البلاد السعودية ، عدد ٧٩٠ (١٩٤٩/١/٣٠ م) .

شطا ، صالح : ندوة المنهل ، تجديد لمجالس العلماء والأدباء في مطلع هذا القرن ، مجلة المنهل ، عدد ٦ مايو ١٩٤٨ م .

عريف ، عبد الله : مع الحاج محمد علي زينل ، مجلة المنهل ، عدد ١٢ مارس ١٩٦٩م

عزمي ، أحمد : حديث مع علمائنا الكرام ، جريدة حجاز ، عدد ٧ ، (١٣٢٦/١١/٢٨ ﻫ – ١٩٠٨/١٢/٢٢ م) .

الغزاوي ، أحمد ابراهيم : أيام الإصرافة والإقلابة ، جريدة قريش ، عدد ٢٠٥ ، (١٩٦٣/١١/٢٧ م) .

الفضل ، محمد عبد الرحمن : مدرسة النجاح قبل مدرسة الفلاح في جدة ، مجلة المنهل ، عدد ٦ ديسمبر ١٩٦٠ م .

مجهول : رسالة من مدرس في الحرم المكي ، جريدة شمس الحقيقة ، عدد ٧ (١٣٢٧/٣/٧ هـ – ١٩٠٩/٣/٢٩ م) .

مغربي ، محمد علي : ما هو أثر الأدب الحديث في هذه البلاد ، مجلة المنهل ، عدد ٣ مارس ١٩٣٩ م .

مجلة المنهل : المدينة ، جدة ١٩٣٧ م –

نصيف ، محمد حسين : بعض ذكرياتي من قبل ربع قرن ، مجلة المنهل ، عدد ٨ مايو سنة ١٩٥٠ م .

— : علماء جدة المعاصرون الراحلون ، مجلة المنهل ، عدد ٤ مارس ١٩٤٦ م .

— : مدرسة الفلاح بجدة وكيف تأسست ، مجلة المنهل ، عدد ١١ و ١٢ أكتوبر ونوفمبر ١٩٤٦ م .

نقشبندي ، عبد الحق : من ذاكرتي قبل نصف قرن ، مجلة المنهل ، عدد ٥ أكتوبر ١٩٦٢ م .

٣ – المخطوطات :

أبو الخير ، أحمد : اجازة من الشيخ أحمد أبو الخير للشيخ حسن بن عبد الرحمن العجيمي ، كتبت في ١٣١٩/١١/٣٠ هـ بخط المجيز ، محفوظة في قسم المخطوطات بجامعة الرياض .

سراج ، عبدالرحمن بن عبدالله : اجازة من الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله سراج للشيخ عبد الرحمن ابن حسن العجيمي ، كتبت سنة ١٢٩٥ هـ بخط المجيز ، محفوظة في قسم المخطوطات بجامعة الرياض .

شطا ، عمر بن محمد : اجازة من الشيخ عمر بن محمد شطا للشيخ حسن بن عبد الرحمن العجيمي ، كتبت في شهر رجب سنة ١٣٢٩ هـ ، محفوظة في قسم المخطوطات بجامعة الرياض .

العميري ، علي بن سالم : تراجم علماء جدة من الحضارمة ، كتب في ١٣٦١/١١/٩ هـ بخط المؤلف ، محفوظ في قسم المخطوطات بجامعة الرياض رقم ١٠٥٩ .

٤ ـ التقارير :

بوقس ، عبد الله : الدليل العام عن تطور التعليم ونهضته بمنطقة جدة ، إدارة التعليم بجدة ، مكتوب بالآلة الكاتبة سنة ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) .

حافظ ، عثمان : تقرير عن ماضي التعليم في المدينة المنورة ، مكتوب بالآلة الكاتبة لا . ت. محفوظ في مكتبة الوثائق التربوية بوزارة المعارف في الرياض .

خزامي ، صالح : تقرير عن ماضي التعليم في مكة المكرمة ، مكتوب بالآلة الكاتبة في ١٣٨٧/٨/٧ هـ . محفوظ في مكتبة الوثائق التربوية بوزارة المعارف في الرياض .

خوجه ، عبد الله : تقرير عن ماضي التعليم في مكة المكرمة ، مخطوط ، أرخ في ١٣٨٨/٤/٣ هـ . محفوظ في مكتبة الوثائق التربوية بوزارة المعارف في الرياض .

علي ، أحمد : تقرير عن ماضي التعليم في مكة المكرمة ، مكتوب بالآلة الكاتبة ، لا . ت. محفوظ في مكتبة الوثائق التربوية بوزارة المعارف في الرياض .

فقيه ، جعفر : تقرير عن ماضي التعليم في المدينة المنورة ، مخطوط ، أرخ في ١٣٨٩/١١/١٤ هـ ، محفوظ في مكتبة الوثائق التربوية بوزارة المعارف في الرياض .

إدارة المدرسة الصولتية : تقرير عن المدرسة الصولتية ، مكتوب بالآلة الكاتبة سنة ١٣٨٢ هـ محفوظ في مكتبة الوثائق التربوية بوزارة المعارف في الرياض .

إدارة مدرسة الفلاح بجدة : تقرير عن مدرستي الفلاح ، مكتوب بالآلة الكاتبة سنة ١٣٨٣ هـ محفوظ في مكتبة الوثائق التربوية بوزارة المعارف في الرياض .

نصيف ، محمد حسين : تقرير عن ماضي التعليم في مدينة جدة ، مخطوط ، لا . ت. محفوظ في مكتبة الوثائق التربوية بوزارة المعارف في الرياض .

وزارة المعارف : التقرير الاحصائي السنوي لوزارة المعارف ، مكتوب بالآلة الكاتبة ، الرياض سنة ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) .



الفهـــارس

فهرس رجال التعليم

فهرس المدارس ومراكز التعليم

محتـــويات الكتاب



فهرس رجال التعـليم

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

فهرس المدارس ومراكز التعليم

محتويات الكتاب

الفصل الثاني

التعليم في المدينة المنورة

المسجد النبوي

التعليم الحكومي والأهلي

الفصل الثالث

التعليم في جدة

التعليم الحكومي

التعليم الأهلي

التعليم في بلدان الحجاز الأخرى

الفصل الرابع

نفقات التعليم ومرتبات المدرسين

الفصل الخامس

الوسائل الثقافية

الفصل السادس

مستوى التعليم ومدى انتشاره

EDUCATION IN MECCA AND MEDINA

TOWARDS THE END OF THE OTTOMAN ERA

BY

MUHAMMAD A. AL-SHAMIKH

Assistant Professor, University of Riyadh

Riyadh 1973